الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الآخر في رحلة الحسن الوزان (وصف إفريقيا)

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: الأدب العربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
وهيبة جرفي.

إشراف الأستاذ:
عبد الحفيظ بوريو.

السنة الجامعية: **2014/2013**

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الآخر في رحلة الحسن الوزان (وصف إفريقيا)

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: الأدب العربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
وهيبة جرفي.

إشراف الأستاذ:
عبد الحفيظ بوريو.

السنة الجامعية: **2014/2013**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

مقدمة:

تعتبر الرحلات من أهم العوامل التي ساعدت على معرفة الشعوب وما تحتويه من ثقافات و تجارب و مفاهيم حملها العقل البشري منذ بداياته الأولى إلى عصور نضجه وتطوره. و بما أن معرفة الذات تتأصل بمعرفة الآخر صار مـــن الضرورة الانتقال و الارتحال إليه لإدراكه على حقيقتــه والتجاوب معه و معرفته بصورة أقرب مما نُقل عنه قولا و فعلا .

وهذا الانتقال حققته جملة من خيرة ما أنجبت الأرض وغطت السماء من المفكرين و الأدباء الذين وبفضلهم عرفنا أماكن تناستها المسافــات و طمست معالمها الحضارات التي لا يفرق مستبدوها بين الضعيف والقوي. فهذا الانتقال عرّفنا على عوالم ما كنا لندرك وجودها لولا تفضل هؤلاء الأشخاص وتحملهم متاعب السفر بين أصقاع المعمورة،و من بينهم الحسن بن محمد الوزان الفاسي صاحب المدونة الفريدة من نوعها مادة وأسلوبا و الذي كان توغله بين المجتمعات التي زارها فريدا من نوعه فكان لابد من معرفة نظرته للآخر و إلقاء الضوء على ثنايا هذه المادة الضخمة ولو بالجزء الصغير تحت عنوان "**الآخر في رحلة الحسن الوزان**".

ونظرا لأهمية هذه الشخصية الفريدة من نوعها التي أثارت لعاب الغربيين والمستشرقين قبل العرب لأن قدره بعد أن قاده سيرا شرقا و غربا أوقعه بين يدي القراصنة الذين اقتادوه إلى روما فصار بذلك الأسير الملك لما يحمله من دهاء وفطنة وسداد رأي و اطلاع واسع المدى بشتى العلـــوم والمعارف؛ فكان فريد الأسلوب دقيق الملاحظة حيادي القرار و الحكم والتفكير، وشعاره في ذلك ما قاله **أمين معلوف** في مقدمة رواية **حياة الوزان** على لسانه عند تذكير قارئ كتاباته بحقيقته ؛إذ يقول: «أنا حسن بن محمد الوزان ،يوحنا –ليون دومديتشي ،بيد مزيّن وعمّدت بيد أحد البابا‌وات،وأدعى اليوم "الإفريقي"، ولكنني لست من إفريقية و لا من أوروبة ولا من بلاد العرب.وأعرف أيضا بالغرناطي و الفاسي و الزياتي ،و لكنني لم أصدر عن أي

بلد ،و لا عن أي مدينة ،ولا عن أي قبيلة .فأنا ابن السبيل، وطني هو القافلة و حياتي هي أقل الرحلات توقعا».

فالوسيلة الأكثر نجاعة لمعرفة الآخر هي الارتحال إليه و مخالطته والعيش في بيئته ،وهذه هي نقطة التشويق في موضوع الرحلات و الذي دفعني إلى الغوص بين ثناياه ،لسببين أولهما لمعرفة الشعوب عن قرب بأعين الرحالة الوزان الذي ارتأيت اختياره لما حملته رحلته من الموضوعية التي تحتاجها أي دراسة لتكون مبنية بلبنة الحقيقة التي ينشدها أي باحث. أما الثاني فهو محاولة مني لإلقاء الضوء على رحلات الوزان من زاوية أخرى بالقدر الذي سمحت لي فرصة الإطلاع على أعماله و خبايا شخصيته التي أعطت للعالم منارة أخرى في الأدب و الجغرافيا و شتى العلوم التي تضلع فيها الرحالة الوزان.

أما المنهج الذي اتخذته الدراسة لبناء موضوع "**الآخر في رحلة الوزان**" ،فهو المنهج التكاملي الذي ضم من المناهج المختلفة ما ضمت الرحلات من الأمصار المتباينة و فهو يقوم أساسا على المناهج التالية: التحليلي، الوصفي بالدرجة الأولى كما طبِقت عليه أيضا فهي المنهج: النفساني،التاريخي ،الاجتماعي،هذا لأن الموضوع به عديد التوجهات التي تحملها الاختلافات التي تبني المجتمعات المتباينة بحسب الميتافيزيقا التي بنت التفكير الذي حكم العقول منذ الأزل أكثر مما حكمت الشعوب بعينها.

ومحاولة لإعطاء هذه الدراسة حقها من البحث و التنقيب في فضاء شخصية الحسن الوزان والآخر الذي كانت الرحلات وليدة الاحتكاك به،ارتأيت تقسيمها بعد المقدمة والمدخل إلى ثلاثة فصول ضمت عناوين رئيسية وأخرى فرعية و لكل فصل تمهيد و خاتمة خاصة به لأنهي كل ذلك بخاتمة تضم نتائج للعمل ككل.

أما **المدخل**؛ فأدرجت به ستة عناصر أساسية بها فروع كافتتاح للموضوع وهي كالآتي:**مفهوم الرحلة** «لغة واصطلاحا»؛ **مفهوم أدب الرحلات**؛ **أنواع الرحلات** «الحقيقية و الخيالية»؛ **تصنيفات الرحلات**؛ **الآخر في أدب الرحلات** وينقسم إلى عنوانين رئيسيين

هما:مفهوم الآخر عند العرب، و نماذج من صور الآخر عند العرب «عند كل من: الجاحظ، ابن قتيبة، وأبي حيان التوحيدي»؛و ثنائية الآخر/الرحلة.

أما **الفصل الأول**؛ فقد حمل عنوان :**أدبية الرحلة وغرائبيتها** و به هو الآخر خمسة عناوين أساسية ضمت المتعلقة منها بالمفاهيم إلى فروع لها ؛و هي كالآتي: **مفهوم** الأدبية «لغة واصطلاحا»؛ أدبية الرحلة ؛**مفهوم العجيب والغريب «لغة»؛ ثنائية العجيب والغريب؛ العجائبية في الرحلات.**

أما **الفصل الثاني**؛ وعنوانه: **الوزان وكتابه وصف إفريقيا.** و هو الأساس الذي قدمت فيه حياة الرحالة الوزان بما تيسر لي جمعه و مادة الكتاب و ما يحتويه وعناوينه كالآتي: أولا: **حياة الوزان**.وتندرج تحت عنوانين أساسيين هما: نبذة عن حياته ويحتوي على»اختلافات حول التسمية،ترجمة ليون الإفريقي من مقدمة كتابه «وصف إفريقيا» وفيه عنصران فرعيان بعنوان الحياة الإسلامية و الحياة الأوروبية ،ثم وفاته»؛ و**مؤلفات الحسن الوزان**. ثانيا: **كتابه وصف إفريقيا**؛ و تعرضت في هذا القسم إلى:أقسام الكتاب ومضامينه، مصادر الكتاب وأسباب وضعه، مزايا الكتاب و مآخذه، مغالطات الترجمة والمترجمين، مصادر ترجمة الوزان «كرونولوجيا»، شخصيات نهل منها الوزان.

أما **الفصل الثالث**؛ فقد خصصته للجزء التطبيقـــي لرحلة الوزان وعنوانه: **الوزان والآخر**؛ و يضم ثلاثة عناوين بها أخرى تنضوي تحتها وهي: مسار رحلة الوزان؛البلدان و تبايناتها وضم:«مدينة الفسطاط ~باب زويلة~ مدينة تلمسان ،مدينة قسنطينة ،مدينة الجزائر»؛ مشاهدات الوزان ويضم «التعاملات ،العمران الأسرة، الأخلاق الطعام».

وبما أن الدراسة تقوم أساسا على المادة العلمية التي تبنيها ففي هذا العمل ارتكزت على كثير من المصادر و المراجع و حتى على مقالات المواقع الإلكترونية ومن أهم هذه الكتب:كتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان، وكتاب "العجائبية في أدب الرحلات ابن فضلان نموذجا" للخامسة علاوي، وكتاب "أدب الرحلة في التراث العربي" لفؤاد قنديل ورحلة العبدري.

لحسن الحظ أن اشتمال هذه الدراسة على متاهات كثيرة جعلتني دائمة البحث عن كل جديد ما يحفز للمضي قدما فلم تكن أية رتابة أو ملل أو خوف من عدم إكمال العمل في وقته المحدد ،فلم أشعر بأي صعوبة يمكن أن يحملها البحث في ثناياه سوى الخوف من عدم إعطاء موضوع مميز كهذا حقه من البحث والدراسة.

فالشكر كل الشكر للأستاذ المشرف "عبد الحفيظ بوربو" الذي كان لي خير معين ،والذي لم يبخل علي لا بالمعلومات ولا بالمصادر اللازمة و لا حتى بالنصح والإرشاد والتوجيه حتى وصولي إلى بر الأمان ،كما لا أنسى كل الأساتذة الذين ساعدوني من قريب أو بعيد على رأسهم الأساتذة الأفاضل:بن جامع يوسف ،طبيش عبد الكريم ،زيناي طارق.

فمهما ألقت هذه الدراسة من أضواء على جوانب عديدة من الرحلـــــة و أدبيتها وملامح عديدة بنت عليها هذه الدراسة يبقى ما قدمته غيثا من فيض أمام ما يحمله هذا الموضوع المميز من جوانب عديدة ،فمهما أدركنا من العلم و قضينا أشواطا به نبقى وكأننا بدأنا الحين في التعلم والدراسة ؛لقوله تعالـــــــــــــــــى :

{وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا}

الإسراء الآية:85.

والله ولي التوفيق.

مدخل

1-مفهوم الرحلة.

أ/الرحلة لغة.

ب/الرحلة اصطلاحا.

2-مفهوم أدب الرحلات.

3-أنواع الرحلات.

أ/الرحلات الحقيقية.

ب/الرحلات الخيالية.

4-تصنيفات الرحلات.

5-الآخر في أدب الرحلات.

أولا:مفهوم الآخر عند العرب.

ثانيا:نماذج من صور الآخر عند العرب.

أ/صورة الآخر عند الجاحظ.

بـ/صورة الآخر عند ابن قتيبة.

جـ/صورة الآخر عند أبي حيان التوحيدي.

6-ثنائية الآخر/الرحلة.

تمهيد:

كثيرا ما كتب الأدباء عن بلدانهم و دققوا ملامح الوصف فيها من حكامها إلى أبسط فرد فيها، حتى تظن و أنت في غاية الانغماس في قراءة كتاباتهم أنك ابن ذلك البلد و تاريخه و سيد الحدث فيها في الغالب، إلا أن بعض الكتابات أكبر من كتابها كما هو الحال مع الرحالة ،فمن يرى حال المرتحل يظن أن العالم كله ينبذ بقاءه فيها وينفي استبقاءه ،فنراه ينتقل من بلد إلى آخر كمن يبحث عن جوهرة مفقودة تسر ناظريه أو كمن يبحث عن قطرة ماء من منزل معزول تروي غليله وتنسيه سوء انطباع حول ما سبقت العين إليه من قبل .

إن **الرحلة** من أروع ما قام به الإنسان منذ وجوده على البسيطة لما لها من محاسن تبهره و تباين يأخذ بيده ليقوده إلى عالـــم آخر لم يسبق له رؤيته ولا حتى السماع عنه ،ففعل الارتحال دافع و محفز سام سمـــو السفارة والاطلاع فالسفير ليس فقط ذلك الذي يذهب و يجئ بين البلدان أو ذلك الذي يقيم في بلد آخر ويعمد بكل جهوده إلى إظهار محاسن قومه عند غيره ،و لا هو أيضا الباحث عن شئ مفقود فيجوب التلال و الصحاري من دون الوصول إلى هدف معين يرجوه.فالرحالة هو ذلك الباحث العالـــم ،الوافد الرافد ،الدؤوب الواصل على درب البحث ، وطلب الحق وإدراك الحقائـق و صانع المواقف و شاهد الوقائع أينما حل بكل أمانة ومصداقية .الرحالة هو ذلك الأمين الذي يستأنس له كل زائر ومضيف،هو الذي لا يضرب في الأرض هباء ولا ينشد الغي هدرا، يأخذ ما يعنيه على راحلته مما توفر له بإذن ربه من وسيلة على اقتدار ما يريد الوصول إليه ،لقولـــه تعالى في كتابـــه العـــزيـــز:

«وَ الْأَنْعَـــامَ خَلَقَهَـــا لَكُمْ فِيهَـــا دِفْءٌ وَ مَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُـــونَ»5» وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُـــونَ «6»وَ تَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيـــمٌ «7»وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَ زِينَةً وَ يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُـــونَ «8»وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِيـــنَ»9»«

سورة النحل «5-9».

فما يضل إلا من أضله الله ومن اهتدى فالهدى من ربه الكريم الرحيم فمن هذه الآية ندرك الراحلة التي يستعملها الرحالة في سفره و ما مدى عناية الخالق للضارب في الأرض من أجل الوصول لهدفه النبيل.

و**الرحلة** وإن طالت و امتدت فهدفها الأسمى هو نقل أخبار الغير من جهة والتأكد من أخرى والثالثة مقارنة لما في بلدان مغايرة لبلده الأم في شتى النواحي لما تحمله البلدان التي زاروها ،لهذا لم يختص بلدا دون آخر و لا عصرا دون آخر في مادة الرحلة إلا و يبرز في كل عصر من يشدون رحالهم إلى عوالم الغير بحثا عن الخير والخيلاء و الاختلاف المنشود منذ أقدم العصور إلى حد عصر المكشوفات الجغرافية إلى عصر النهضة.

إن ما قدمه الرحالة من حقائق حول المسافات و المكاييل ساهم في ضبط الخرائط الجغرافية بكل ما تحمله من مسالك و تضاريس ساعدت الناس من ناحيتين؛أولهما و إن عُدّ مذموما فهو مساعدتها على الغزو و الاحتلال خاصة للبلدان الضعيفة التي لم تكن معلومة حتى أنشئـــت هـذه الخرائط وضبطت،وثانيهما هو الهدف الأسمى للرحلة أي مساعـــدة المسافريـــن والمرتحلين –كل حسب حاجته–إلى الاهتداء و معرفة السبل و المواضع في الأراضي المجهولة كي يتفادى الضياع والوقوع في مزالق توصله إلى ما لا يحمد عقباه ،فمع مرور الزمن تطورت الخرائط على يد هؤلاء العمالقة التاريخيين حتى صارت على ما هي عليه اليوم بعيدا عن كل التغيرات السياسية و الحدودية للأقاليم المختلفة.

1-مفهوم الرحلة:

أاالرحلة لغة:

اختلفت التعاريف اللغوية للرحلة من معجم لآخر ،إلا أنها في الأخير تصب في معنى يكاد يكون واحدا:

ففي لسان العرب لابن منظور:

رَحَلَ:الرَّحْلُ:مركب للبعير و الناقة و جمعه أرحل و رحال، قال طرفة بن العبد[1]:

جازت البيد إلى أرحلنا آخر الليل بتعفور خدر

و الرَّحَالَةُ نحوه ،كل ذلك من مراكب النساء .

و أنكر الأزهري ذلك ، فقال :الرَّحْلُ في كلام العرب على وجوه ،قال شمر :قال أبو عبيدة :الرَّحْلُ بجميع ربضه و حَقَبِهِ و حِلْسِهِ و جميع أغراضه،قال :و يقولون أيضا لأعواد الرَّحْلِ بغير أداة رَحْلٌ ،و أنشد:

كَأَنَّ رَحْلِي وَ أَدَاةَ رَحْلِي عَلىَ حَزَابٍ كَأَتَانِ الضَّحِلِ

عند ابن سيده:الرُّحْلَةُ السفرة الواحدة، و الرَّحِيلُ اسم ارتحال القوم للمسير، قال:

أَمَّا الرَّحِيلُ فَدُونَ بَعْدِ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ:الدَّارَ تَجْمَعُنَا؟

والرحيل القوي على الارتحال و السير ،و الأنثى رحيلةٌ [2]

---

1 محمد فوزي حمزة،دواوين الشعراء العشرة،مكتبة الاداب،القاهرة،ط1,2007،ص61.

2ابن منظور،لسان العرب،تحقيق :عبد الله على الكبير واخرون،دار المعارف،كورنيش النيل،القاهرة،1119م،ص ص1608,1611.

و في المعجم الوجيز :

الرُّحَالُ: العرب الرحال، الذين لا يستقرون في مكان و يحُلُّونَ بماشيتهم حيث يسقط الغيث و ينبت المرعى

الرَّحَّالَةُ: الكثير الرحلة.الرُّحَّلُ: العرب الرُّحَّلُ:الرَّحَّالَةُ.

الرَّحُولُ :كثير الارتحال، رحل عن المكان. رَحْلاً و رَحِيلاً و تِرْحَالاً ورِحْلَةً: سار ومضى، أَرْحَلَ فلان: كثرت رواحله، فهو مرحلٌ[1]

و في المعجم الوسيط:

الرِّحْلَةُ:الارتحال»ج»رحل، و في التنزيل العزيز: «رحلة الشتاء و الصيف»، وكتاب يصف فيه الرّحالة ما رأى و بعير ذو رحلة:ذو قوة على السير.

الرَّحُولُ :كثير الارتحال .و–الراحلة ،الرَّحُولَةُ:الرَّاحِلَةُ[2]

فمهما اختلفت المعاني في استخدام كلمة «رحل» و توظيفها تبقى ذات دلالة واحدة وهي الانتقال و السفر.

ب\الرحلة اصطلاحا:

جُمع المصطلح رحلة على ما حددته المفاهيم على أنه انتقال شخص أو مجموعة من الأفراد من البلد الأم إلى بلدان أخرى،إما تكون بلدانا شقيقة أم بعيدة وغالبا ما يكون الرحالة بمفرده كابن بطوطة و الحسن الوزان و ابن جبير...وغيرهما،فالرحلة تحدد حسب ميول الفرد الى ما يود الارتحال لأجله فهناك من يرتحل للتجارة و العمل

---

[1] مجمع اللغة العربية،المعجم الوجيز مصر،ط،1400,1هـ\1980م،ص ص258,259

[2] مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط،جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية،ط4 2004،ص335.

و غير ذلك و هناك من يرتحل لأجل الاستزادة في العلم والمعرفة،كما هي حال الرحالة المفكرين ،فالرحلة عند جميع هؤلاء هي أفكار ومقاصد ذاتية ،لهذا فالرحلة هي تصوير الكاتب لما جرى له من أحداث عند تنقلاته من مكان لمكان و كذا نقل حي لكل اختلاف أو رغبة و رصد عادات و تقاليد و نمط عيش في مختلف البلدان.

إلا أن الرحلة لا يستوجب فيها الانتقال المادي فحسب، فالرحلة أيضا يمكن أن تكون زمنية أو نفسية، إلا أن كل ذلك ينصب في مادة مشتركة للرحلـــــة، و هي الخروج عن دائرة الحال إلى أحوال أخرى بمعطيات أخرى.

2-مفهوم أدب الرحلات:

أدب الرحلات بكسر الراء و تسكين الحاء كما أورده مجدي وهبة في معجمه[1] «من ابرز المصطلحات التي تنسب الأدب إلى موضوعه «[2]،و هو «مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفـــة و قد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عـادات و سلـوك وأخـــلاق و تسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد»[3].وهو من المصطلحات الفضفاضة إلى حد كبير ،إذ يحوي موضوعين كبيرين هما:موضوعة الأدب «الأدبية» بما هي مفهوم فني جمالي ،وموضوعة الرحلة كوصف بما هي تجربة «تعلن عن سرد الأسفار،و تتضمن معنى الذهاب بعيدا عن الموطن الأصل كما تفتح أفق انتظار يرتبط بالنوع نفسه ،أي أن القارئ ينتظر وصفا للبلـــدان التي زارها صاحب الرحلة كوصف القاهرة في التعريف «*». و ينتظر القارئ كذلك ذكرا لخصائص البلدان و عاداتها و طقوسها «...»الرحلة جولة في الفضاء «...»الرحلة وصف»[4]، قد يكون وصفا ماديا لكل ما يراه الرحالة ،وقد يكون وصفا معنويا لكل ما يعانيه من مشقة.[5]

فالرحلة انتقال و تغيير للمكان ،و هذا الانتقال يحمل على عملة ذات وجهين متلازمين هما الزمان و المكان ،فالمكان هو الفضاء الذي ينتقل إليه الرحالة كبلد آخر

---

[1] وهب مجدي،معجم مصطلحات الأدب(انجليزي،فرنسي،عربي)،مكتبة لبنان،ط1.1974م،ص577

[2] أميل بديع يعقوب،ميشال عاصي :المعجم المفصل في اللغة و الادب ،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان، ط1، 1987م، ج 1،ص60

[3]كليطو عبد الفتاح،الحكاية و التأويل،دراسات في السرد العربي،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء،ط1997,2م ص ص72-73.

*المقصود بالتعريف : التعريف بابن خلدون و رحلته غربا و شرقا.

[4]كليطو عبد الفتاح،المرجع السابق،ص ص 72-73.

[5] ينظر الخامسة علاوي ،العجائبية في أدب الرحلات ابن فضلان أنموذجا ،دار السويدي للنشر التوزيع،الإمارات العربية المتحدة أبو ضبي ،ط2011،1م،ص13.

أو عالم آخر «بمحض الخيال»،فهذا البلد هو ما يلحظه المرتحل في هذا المجتمع من ثقافة و من جوانب شتى أساسها هذه الثقافة ،و كل ما ينتج عنها من لغة تخاطب وتواصل ،ومن عادات و تقاليد آنية تبرز من ماضي بعيد حافظ عليها هذا الآخر ،من طبائع و موروثات اثنولوجية بنيت عليها الملامح الكبرى لهذا المجتمع سواء كانت واقعية علمية أو ميثولوجية متوارثة ،فكل تلك الرواسب التي يدرك اختلافها الرحالة هي نتيجة لعوامل سابقة شكلت لحمة وضميرا جمعيين لدى مجتمع بعينه.

و هذا التراتب والتوالد اللاواعي للمعتقدات النابع من المجتمع يحتاج بدوره إلى عامل أقوى يساعده على البقاء قائما رغم كل التطورات الفكرية هو الزمن. فالزمن وإن كان يتماشى و الفكر الإنساني إلا أنه يملك قـــوة و حصانة نابعة من عقول من آمن بما يفرضه على حياة الناس فلا يمكن أن نفهم ثقافة مجتمع ما دون الرجوع إلى ماضيه ف»المجتمع و الثقافة كائنات زمانية بالضرورة و فهم الحاضر فيها يتطلب بالضرورة معرفة الماضـــي بل و تشوُفاتها نحو المستقبل أحيانا»...» والرحلة قد تبدو أحيانـا معرفة بالجـــزء، و لكنها في الحقيقة معرفة بالجزء في إطار الكل»[1]. فمهما حددنا فكرة أو ثقافة ما في زمن معين أو بيئة معينة لا يمكننا أبدا أن نفصلها عن الزمان الذي منحها الوقت الكـــافي لإرســـاء دعائمها في عقول النـــاس ومعتقداتهم فلا حاضر دون مستقبل و لا مكان دون زمان.

فالرحلة وإن كانت هي ذلك الانتقال من مكان إلى مكان تبدأ بشد الرحـــال وتنتهي بالعودة إلى الديار ،فهذا لا يعني أنها تقاس بنقطة البداية والانتهاء والمدة الزمنية بينهما ،و إنما تقاس بما سيقدم بين هاتين النقطتين من الأماكن المتباينة المتناثرة ،فالحيز الزمكاني الذي تبنى فيه الرحلة هو الأصل الذي يستقي منه المرتحل مادة الرحلة لديه ،و هذا ما يحمله على أن يكون متفردا بأصالته لا يضعف أمام عرق أو دين أو ثقافة معينة فيحمل كل ما يراه على محمل الجد والموضوعية دون زيف أو

[1] الخامسة علاوي،المرجع السابق، ص13.

تغيير لأنه الأمر الوحيد الذي يعطي للرحلة كيانا أدبيا راسخا لا يهدمه أي علم أو علمنة،بل صار أدب الرحلات المادة التي تستقي منها الجغرافية والإثنوغرافيــا مادتها.

فالأول أي الجغرافيا كانت عن طريق المختصين فيها –أوروبيين و عربا–تترجم من قبيل ما قدمه الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي في مؤلفه الضخم ~وصف إفريقيا~ القياسات و المسافات و المكاييل والتضاريس في رسم الخرائط وضبطها .

أما الثانية أي الإثنوغرافيا فقد حمل علماؤها منها التفسير الميثولوجي من خلال الأساطير التي حولت إلى عادات تحكم المجتمعات و كذا عملوا على تحديد الأنساب والجماعات و غير ذلك.

ومن هذا نذكر أن اللوحات التي يستقي منها الرحالة مادته للكتابة لم تكن عبارة عن طلاسم ووقائع يرصدها ليعيد إنشاءها هباء،بل شكلت كل تلك المشاهد الوصفية واللوحات التصويرية مادة الأدب الإنساني قديمه وحديثه. فحتى وإن شاب الرحلة بعض الغرائبية و العجائبية فيما يوجد فهي ليست بخيالات الرحالة وإنما هي خيالات توارثتها المجتمعات من الثقافة الميتولوجية التي صارت فيما بعد إلى طقوس متبعة وإلى عادات وتقاليد راسخة صارت جزء من الضمير الجمعي اللاواعي للمجتمعات بمختلف ثقافاتها فـ»القوة التي تدفعنا بها الرحلة دفعا نحو المجهول والمغاير والخارج عن المألوف ،هي ذاتها التي تقودنا إلى استحضار واستعادة الطقوس المسايرة التأهيلية والتعليمية التي يسعى من خلالها الكائن للانتقال من حضيض الرغبات والأهواء إلى مدارج علوية من الجهاد الروحي و الفكري و الحضاري»[1].

[1]علي كابوس عبد العلي اليزمي:"كتابة الرحلة ورحلة الكتابة"–قراءة في الطريق السيار ل ح.الحميداني."مجلة علامات ،العدد15,2001م،متاحة على موقع سعيد بنكراد.

فضرورة فك شفرات العادات المتباينة التي بقيت سائدة في عقول الناس رغم تطورها دفعت بذوي العقول الراجحة إلى البحث في عمق هذه المجتمعات لإدراك المعرفة التي كانت همّ الإنسان الوحيد منذ البدء.

وأدب الرحلات كان المفتاح الوحيد الذي رسم الخطوط الأولى لمعرفة النواة التي بنيت عليها المجتمعات و التي أصبحت مع مرور الأزمنة و العصور إلى ثقافة سائدة لم يتمكن حتى العقل الديناميكي و العلمي المجرد من استئصـــالها من المجتمع.

فأدب الرحلات من الآداب الواسعة الرحبة و على»حد تعبير محمد المر شديد الإثارة رحب الأفق يتفرد بشخصية خاصة و هي التنوع المفاجئ ،إذ فيه من التقطع والتوزع فوق ما فيه من التواصل والتكامل و يعود تقطعه إلى طبيعة الترحل و التنقل ،فيه إشباع للفضول و ري للظمأ و التفاعل بين القـــارئ و الكاتب و ترابط بين الواقع والمتوقع و تكامـــل بين ما يرى الكاتب بعينه و ما يرسمه الخيال للقارئ فلا يطيق أن يقاومه ولا يقوى حتى على التلفت من شباكه»[1].

ورؤية محمد المر هي رؤية صائبة – ولا ريب– كون هذا التباين المفاجئ من أحد الأسباب التي جعلت للصعوبة في التعامل مع جنس الرحلة بابا يضفي على هذا النوع الأدبي غموضا يكاد يطرقه كل من يقرأ نصوصه و إلى ذلك يضاف أن»الرحلة تستفيد –مثل باقي النصوص– من التحولات الأجناسية من جهة و من تطورات الجنس ذاته من جهة «[2].

فالرحلة في بداياتها الأولى كانت مجرد انطباعات و آراء و ملاحظات يسجلها الرحالة عن مغامراتهم و عن المجتمعات التي زاروها و عن الشعوب التي حلوا بها

---

[1]طليمات ،غازي مختار:محمد المر و أدب الرحلات متاح على الشبكة[2004\9\22] ARABIC STORY . WWW .COM

[2]مؤذن عبد الرحيم :رحلة أدبية ام أدبية الرحلة؟متاح على الشبكة [2005\03\21] fikrwanakad–aljabriya Www.bad com

ضيوفا و عن كل الاختلافات و الغرابة التي لاحظوها في المجتمعات المختلفة فنقلوها في مذكراتهم اليومية يصفون فيها الرحالة مسار رحلتهم ،و من ذلك «مذكرات التاجر سليمان الذي يعد بحق رائد الرحلات البحرية»[1]،و كذلك الفقيه أبو بكر بن عربي «543هـ» الذي أسس أدب الرحلات «و هو يقدم مادة ضخمة تحفل بالمعلومات الثقافية و الاجتماعية عن البلاد التي طوف بها ،و هو أول من استخدم لفظ –الرحلة– في عنوان مؤلف و ذلك في كتابه –ترتيب الرحلة–»[2]ليليه ابن جبير الذي كان له الفضل في التأصيل لهذا الأدب «من خلال الصياغة العالية ،و بعده ابن بطوطة الذي جاء ليقدم نمطا جديدا ينحو المنحى الغرائبي في السرد ،و الذي تعد رحلته بحق رحلة نموذجية ،إذ فيها تتحقق كل الخصائص البنائية للنص الرحلي»[3].

لم تقتصر كتابة الرحلات على المادة النثرية بل مست الشعر أيضا منذ العصر الجاهلي، وعلى سبيل المثال المعلقات التي كانت تخصص جزء إلزاميا عُد من أهم مقوماتها بعد الطلــل و هو الرحلة أو كما يسمى بالظعن و السبب الأساسي هو الاكتشاف و طلب التغيير فـ»كان الرحيل هاجسا لا يقر و لا يهدأ في ضمير الشاعر الجاهلي ،فهو راحل أو مزمع على الرحيل في كثير من الوقت ،أو متأمل من يرحل،أو ما يرحل «الظعائن ،العمر ،القبائل ،الأهل ،الرفاق ،الحياة نفسها»«[4]،فلم يكن الارتحال عند الشاعر الجاهلي نفسه عند الرحالة بعد الإسلام ،فالشاعر كان هدفه شخصيا مما جعل لرحلاته طبيعة خاصة به ،و على كل حال فـ»الذات الجاهلية كانت مدمرة و لكنها كانت قلقة مأزومة ورِقها الغموض حينا ،و قد يضيق بوعيها فتغترب اغترابا جريحا حينا ثالثا، و لكنها في أحوالها جميعا عاشقة للقوة مؤمنة بها كثيرة

---

[1] قنديل فؤاد :أدب الرحلة في التراث العربي،مكتبة الدار العربية للكتاب،القاهرة،ط2. 2002م،ص ص 75,98.

[2] فؤاد قنديل،المرجع السابق،ص 75.

[3] الخامسة علاوي،المرجع السابق،ص16.

[4] رومية وهب أحمد،شعرنا القديم و النقد الجديد ،سلسلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ، العدد207، مارس1997،ص271.

الالتفات إلى الآخر لا تكتفي بالنظر في مرآتها بل تتوق النظر في مرايا الآخرين»[1].وهذا نابع من المجتمع الجاهلي الذي لكثرة التداخلات في معتقداته الدينية والفكرية و التنظيمية ،كان بمنأى عن التنظيم المجتمعي و التهذيب النفسي والسمو الروحي ،فكانت رحلاتهم مادية في قالب نفســـــي أي يبحث من جهة أخرى عن الغذاء و الأمن والاستقرار ،ومن جهة أخرى يبحث عن أصل كينونتـه وعن مكانته في مجتمعه، وعن سبب عيشه و أين يذهب حين وموت و ما إلى ذلك من الأفكار الباحثة عن التعريف بالوجود.فكانت تُؤنسه الرحلة ليتناسى للحظات من يكون و من أين و إلى أين سيمضي،فالشاعر الجاهلي في وصفه لرحلته وما يعانيه خلالها «ليس لطلب المثوبة على التعب ،بقدر ما هو عمل شبه قصصي يحمل على التشويق و المتابعة وعلى إشراك الآخرين في أحاسيس الشاعر ،و لو كانت الغاية مجرد وصف التعب لكان الإيماء السريع فيه كافيا ،و لما استطرد الشاعر إلى وصف الحيوان البري و ذكر الطرد و ما شابه ذلك...»[2].فبالرغم من أن الشاعر الجاهلي كان يصف رحلاته بتفاصيلها إلا أنها لا تعدو عن كونها لازمة في مقدمات القصائد»لأنها أولا نص شعري،وثانيا ذات نظــام و بناء خاصين ،لا يكون الشعر فيه المقصود الأول بل القصيدة ،نظرا لهيمنة الشعري على الرحلي»[3].

وخلاصة القول إن أدب الرحلات لم يكن أدبا منفردا نشأ من فراغ بل إنه أدب حيكت أسسه منذ أقدم العصور في مختلف الثقافات و الحضارات بائدها و قديمها ،مبتدعها و أصيلها ،فصار لزاما علينا نحن الآن إدراك مدى أهميته و أهمية الخوض في غماره لأنه أدب تستقى منه مختلف العلوم الجغرافية منها والعقائدية ،وحتى

---

[1] وهب رومية،المرجع نفسه،ص272.

[2]الجوزو مصطفى،نظريات الشعر عند العرب(الجاهلية و العصور الاسلامية)–نظريات تأسيسية ومفاهيم ومصطلحات– ،دار الطليعة،بيروت،ط1.2002م،ج2،ص ص172,173.

[3] الخامسة علاوي،المرجع السابق،ص15.

الطقوس و نفسيات البشر في مختلف البلدان والتجمعات لأنه العلم الوحيد الجامع للإنسان و الإنسانية و للعلم و العالمية.

3-أنواع الرحلات:

تضاربت الآراء حول تصنيفات **الرحلات** و حصر أنواعها لكثرة الأغراض التي يهدف من خلالها الرحالة القيام برحلته فلتباينها أكد بعض الباحثين و على رأسهم مكي الطـــاهر في كتابه «الأدب المقارن – أصولـــه و تطوره ومناهجه-» أن الرحلات مهما تعددت أنواعها و تباينت فيما بينها تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما الرحلة الحقيقية «الواقعية المباشرة»،و الرحلة الخيالية.

أ/الرحلة الحقيقية: «الواقعية المباشرة»:

الرحلة الحقيقية هي الرحلة الأم التي تبنى عليها الأفكار و تولد لتدفع بالنفس التواقة لمعرفة المزيد عن باقي الشعوب أكثر مما رأت أو سمعت ،فالرحلة الحقيقية ليست كلاما يُسمع أو كتابا يُقرأ، إنها رحلة تطأ فيها الآذان و الأعين الحقيقة المجردة قبل أن تطأ الأقدام الأرض التي انبثقت منها كونها «رحلات فعلية ذات علاقة مباشرة تقوم على الانتقال من مألوف المكان إلى مكان غريب ،يتقصى فيه الرحالة المســـــالك و الممالـك و أخلاق النـــاس وطبائعهم بل حتى مآكلهم ومشاربهم ،و قد شاع هذا النوع من الرحلات قديما و حديثا حيث أقبل الرحالون على تدوين زياراتهم للبلاد التي طوّفوا بها،و تسجيل انطباعاتهم حول الشعوب التي خالطوها راصدين في ذلك عاداتهم و تقاليدهم و معتقداتهم وسلاحهم في ذلك دقة الملاحظـــة وسعة الإطلاع»[1].

[1] مكي محمد الطاهر،الأدب المقارن-أصوله وتطوره ومناهجه-،دار المعارف،القاهرة،ط1987،1،ص322.

أما و أن الرحلات عرفت منذ قديم الزمان، فقد بدأت بأكبر الرحلات انتشارا ونعني الرحلة الدينية و التجارية، أما الأولى «فهي رحلات موسمية للحج إلى بيت الله الحرام، و ترتبط بصور عن نشاط إنساني مكثف عرف تناميا لارتباطه بالدين الذي حث على السفر والحـج و التطهر من الآثـام و ترتبط الرحلة الحجية بثلاثة مشاهد أساسية :الأول مشهد الخروج،حيث يكون الخارج ضمن ركب منظم يرأسه متخصص عارف بالطريق يوصف بالتقـوى و الأمانـة والحنكـة و حسم الأمور و يأتي بعد ذلك مشهد المسير ثم الوصول ،و لكل من هذه المشاهد طقوسه و مدوناته و أحداثه وأدبياته»[1].و اشتهر في هذا النوع من الرحلات ابن بطوطـة وابن جبيـر و العبدري والورتلاني و الذين بفضلهم تمثل لنا الأدب الجغرافي الذي انبثق منه أدب الرحلات وتطور حتى صار أدبا قائما بذاته .

أما الرحلة التجارية فكانت لأجل تبادل السلع سواء على المدى البعيد كرحلات التاجر سليمان ،أو على المستوى القريب بين القبائل و الدول فيما بينها.

إن التصنيف الذي يضع الرحالـة في مصاف الحقيقة هو ما يكتـب و يقال من دون تحريف أو زيادة و نقصان عما هي عليه في الأصل وهاتان الرحلتان اللتان أخذتا على سبيل المثال لا الحصر رحلتان تخلوان من الغرابة و التشويق بل يكاد جانب العجائبية فيهما أن يكون أمرا مفقودا نهائيا.و هذا لا يرجع إلى كون المسار الذي تُؤتى به الرحلة مسارا محددا، وإنما لأن نفسية الرحالة وهم متجهون إلى مكان معلوم ذي معالم محددة يصرفهم عن الانتباه إلى ما يلفت النظر و يُذهب الورع ،على غرار الرحلة التي يقوم بها هاو يتقصد الرحلة بأن يحل ضيفا عند الشعوب التي يمر بها و الذي لا يملك وجهة محددة سوى معرفة حال تلك المجتمعات فهو يدقق الطرف و يحلل الفعل و يبسط الرِّجل حتى يهضم الشارد والوارد في الأهل الذين استضافوه

---

[1] عامر فتحي ،قراءة في كتاب(الرحلة في الأدب العربي–التجنيس و آليات الكتابة وخطاب المتخيل–"لصاحبه شعيب حليفي،متاح على الشبكة،www.el–bayan/com[15_09_2004].

،فهنا على الرحالة ألا يحتك «بواقع البلد الذي رحل إليه ،و إنما يتجاوز حاضره إلى ماضيه و يدع ما حوله و يلمسه و يغوص في أعماق التاريخ بحثا عن حضارة اندثرت و خلفت وراءها شواهد ناطقة أُعجب بها قراءها ،أو من خلال بقاياها»[1].و هذا هو الحال الذين قصدوا اسبانيا و استوقفتهم آثار الحمراء ، فهم لم يظلوا واقفين على معالم حضارة الإسبان المجردة التي رأت أعينهم بل سبح بهم التاريخ إلى أبعد من ذلك إلى تاريخ الرجال الذين بنوا الأندلس و شيدوا تاريخا ظل شامخا بارزا إلى اليوم فالرحلات الحقيقية ذات بعد جغرافي مادتها الوصف و أساسها إنتاج مادة ذات طبيعة جغرافية تميزها عن غيرها من الرحلات ، هذا لأن جل الرحالة جعلوا لوصف المسالـك والممالك الحيز الكبير كونه الأساس في أي رحلة لمعرفة و تحديد المسار الذي سلكه الرحالة لذلك ،كما أنه دفاع للرَّحالة عن نفسه و تأكيد منه على أنه بالفعل زار تلك البلاد و وجد ما وجده غيره ،إضافة إلى أنه تأكيد و نفي لما قد وجده السابقون ،و ليس نقلا عنهم دون معاينة الحدث و بهذا تكون لديه ذريعة و أحقية اكتشاف ما يوجد.لذلك عمد كل الرحالة إلى وصف طريقهم بدقة لوضع خارطة مفصلة لرحلتهم أو ما يسمى بمسار الرحلة.

إن الرحلة الحقيقية هي اللبنة الأولى التي تغدي فعل الارتحال حيث تساعد في كشف الحقائق و إزالة اللبس و التأكد من كلما يروى عن البقاع المختلفة.

ب/الرحلة الخيالية:

منذ سالف الأزمنة ونحن نسمع بقصص و حكايات عجائبية الحبكة ،كنا عند الانبهار بأحداثها نقول عنها إنها خيالية ،أسطورية و حتى خرافية لشدة غرابة الأحداث بها و لكون أحداثها لا تمت للواقعيـة بصلة فهي كما عرفها محمد التونجي في معجمه «المفصل» : «نوع من القصـص الخرافـي و الأسطوري ،كتبه الأدبـاء معتمدين على

[1] مكي أحمد الطاهر،المرجع السابق ،ص322.

خيالات مجنحة و أساليب مشوقــة قصـدوا من ذلك التسلـية وخلق أجواء من بنات خيالهم لإثارة المغامرة و توسيع الخيال.»[1].

فالرحلات الخيالية أساسها اليوتوبيا أي لا مكان أو ليس مكان*أو كما ترجمه ناصر الحاني في مؤلفه بـ:خير مكان،و المعاني كلها تصب في قالب مغاير للواقع فضاؤه الخيال وشخصياته افتراضية تقوم بأعمال تمليها درجة الخيال وسعته،فالرحلات الخيالية «هي الانتقال المتخيل الذي يقوم به الأديب عبر الحلم أو الخيال إلى عالم بعيد عن عالمه الواقعي ، ليطرح في هذا العالم رُؤاه و أحلامه التي لم تتحقق في دنيا الواقع.»[2].

وقد حصر الدكتور محمد الصالح سليمان أشكال الرحلات في كتابه»الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث»في ثلاثة صور هي:

1. رحلة إلى عالم الجن و المدن المسحورة.
2. رحلة إلى العالم العلوي.
3. رحلات إلى عالم الموت و الآخرة.

ولأن الخيال في الرحلات قديم قدم البشرية فقد صبت هذه التصنيفات الثلاث في الذهنية البدائية الأسطورية مادة الخيال حيث كانت الأساطير«وسيلة الإنسان القديم للوصول إلى عالم الموتى المجهول تارة و صفحة يستشرف من خلالها الرحالة آفاق

---

[1] التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب،دار الكتب العلمية،بيروت ،ط1993،1،ج2،ص476.

* مجدي وهب ،معجم مصطلحات الأدب (انجليزي،فرنسي،عربي)،مكتبة لبنان،1974،ص16

*وهب مجدي ،المصدر السابق،ص589.

[2] السليمان محمد الصالح، الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث،منشورات اتحاد الكتاب العرب، المغرب ،دط،2000،ص9.

المستقبل وغامض الغيب تارة أخرى كما تبدو الرحلة الخيالية صورة معكوسة للحياة الاجتماعية»[1].

فالخيال ليس حكرا على بيئة أو شعب معينين بل هو منذ جمهورية أفلاطون الفاضلة إلى ابن طفيل مع حي بن يقضان إلى المحاسبي ثم إلى ابن عربي والمعري...الخ،و هذا كما قال السليمان محمد الصالح إنه رغبة منه»في تجديد ثوب الشعر العربي الحديث و التواصل به مع التراث القديم»[2].و هذا ما ذهب إليه نور تروب فراي بقوله: «إن الرحلة العجائبية* هي الصبغة الوحيدة التي لا تنفذ»[3].

فهذه الحلاوة التي يتذوقها القارئ في النصوص الرحلية الخيالية تذهب به إلى أبعد نقطة تتوق نفسه و مراده الوصول إليها،فهذا الانتقال بين الأمكنة غير الحقيقية يتلمس فيها الملجأ و الخلاص من محن واقعه، وهي بهذا تعد مظهرا من مظهري حالات الهروب التي تحدث عنها حسين محمد فهيم حيث ترجم رحلات الهروب بمظهرين أساسيين هما الرحلات الخيالية المحضـــة ورحلات واقعية خرج فيها أصحابها من بلادهم باحثين عن «المكان الآخر» حيث الطمأنينة و البعد عن المخاطر[4]،فهذا الهروب في حد ذاته أحد أنواع الرحلات الذي«ظهر في العصر الحديث ،و قام به أصحابها بحثا عن الذات و هروبا من واقع غير مستحب لأنفسهم. ولقد شهدت أوروبا بالذات هذا النوع من الرحلات زمن بدايات التحول و التبدل في القيـم والأحوال الاجتماعية و الفلسفات الإنسانية خاصة إبان القرن التاسع عشر

---

[1] السلمان محمد الصالح،المرجع السابق،ص13.

[2] المرجع السابق،ص7.

*أطلق محي الدين صبحي مصطلح العجائبية وأراد به الخيالية ترجمة لمصطلح نور تروب فراي fantastic voyage.

[3] نور تروب فراي،تشريح النقد ،تر:محي الدين صبحي،الدار العربية للكتاب،تونس–ليبيا،دط،1991،ص87.

[4] حسين محمد فهمي،أدب الرحلات،سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،الكويت،العدد 138،1989،ص43.

والنصف الأول من القرن العشرين الذي شهد حربين عالميتين و دمارا للبشرية لم يسبق له مثيل في التاريخ»[1].

إضافة إلى ذلك توجد رحلات خيالية أخرى في الأدب العربي أساسها التصور الشعبي الأسطوري لأسطورة شيطان الشعر ،كما ظهر ذلك جليا في المقامة الإبليسية للهمداني و رسالة التوابع و الزوابع لابن شهيد التي حملت قضايا عصره إلا أنها تحمل جمالية الخيال بتوظيفه لفكرة الجنة والنار كما فعل أبو العلاء المعري في رسالة الغفران و إن كانت هذه الفكرة مقتبسة من مفهوم ديني إسلامي بحث ،فهي من ناحية الجمالية الأدبية تحمل الكثير من الخيال و التصورات اللاواقعية.

إضافة إلى ما سبق فقد أضاف أحمد الطاهر مكي نوعا آخر من الرحلات هو رحلات القراءة و التي يتم فيها الانتقال من مكان لمكان دون تكبد مشاق السفر،وذلك عن طريق رحلات قام بها آخرون ،فتكون علاقة القارئ بالبلاد التي يقرأ عنها من خلال كتابات الذين زاروها من ذلك رحلات الشاعر شاطو بريان»1768-1848» في رواية «آتالا»[2]،فقد ظل يحلم برحلات الآخرين ،و وصف عن طريقها غابات أمريكا اللاتينية من دون أن يذهب إليها.

فالرحلة الخيالية كما يقول حسين فهيم «لا تقل أهمية عن الرحلات الفعلية لأن كلتيهما تنتمي إلى مقولة إن المعرفة بالذات تتأصل عن طريق المعرفة بالآخر ،و أن الرحلة أيا كانت فهي في نهاية الأمر جزء أصيل من الحياة الإنسانية على هذا الكوكب،و وسيلة مفيدة لسبر غورها»[3].لهذا لا يمكن التفريق بين الرحلات الخيالية والحقيقية ،لأن هناك رحلات خيالية تجانب الحقيقة كما أن هناك رحلات حقيقية موسومة ببعض من الخيال ،كما هي الحال مع رحلات السندباد التي دمجت مع

---

[1] فهيم محمد حسني،أدب الرحلات،عالم المعرفة،الكويت،1989،ص43.

[2] مكي أحمد الطاهر، الأدب المقارن، ص323.

[3] فهيم حسين محمد،المرجع السابق،ص43.

الرحلات الخيالية لكثرة المغامرات الغرائبية بها إلا أن المتصفح لكتاب الفهرست لابن النديم يقف على حقيقة مغايرة لها مفادها أن قصص السندباد تنقسم إلى نسختيـن كبيرة وصغيرة،و في هذا الصدد يقول : «كتاب سندباد الحكيم و هو نسختان كبيرة و صغيرة والخلف فيه أيضا مثل الخلف في كليلة و دمنة ،و الغالـب والأقرب إلى الحق أن يكون الهند صنفته.»[1].

والمسعودي هو الآخـر يؤكـد أن كتاب سندباد الحكيم ألفه طبيب هندي يسمى سندباد ،و هو يحتوي على كتـاب الوزراء السبعة و المعلـــم و الغـلام و امرأة الملك[2]،أما كرا تشكو فسكي فيؤكد هذا الرأي حول قصص السندباد مثبتا أنها حقيقية حتى و إن أدخلت في حكايات ألف ليلة و ليلة وسميت بأساطير و خرافات فقد «أثبت العلم أخيرا أنه من الخطل اعتبارها أسطورة خرافية تدور حوادثها خارج حدود الزمان والمكان ،إذ استبان من أبحاث رينور دي خويه و فيران أن «أسفار السندباد «انبعثت في نفس الوسط الذي نشأت قصص التاجر سليمان ،و في نفس مواضعها أيضا أي سيراف و البصرة و بغداد،بل وفي نفس العصر تقريبا أي حوالي عام 900م»[3].و في ذات المصدر يؤكد كرا تشكو فسكي الأساس الفعلي و الواقعي لقصص السندباد على أنه»أمكن تحديد أماكن بعض حوادثها بالكثير من الدقة»[4] فتصنيف الرحلات لا يكون بما توظف فيه و إنما بما تحمله بين طياتها.

فمهما اختلفت الآراء حول ما إذا كانت الرحلات حقيقية أم خيالية، فلن نتمكن من الفصل فيها بينها كليا فأحيانا نلمح في الرحلة الحقيقية بعض الإشارات التي تنبعث

---

[1] ابن النديم ابو الفرج ،الفهرست،دار المعرفة،بيروت،دط،1978،ص423.

[2] المسعودي أبو الحسن،مروج الذهب ومعادن الجوهر،تر:محمد محي الدين عبد المجيد،مطبعة السعادة، القاهرة،ط1964،4،ج1،ص162.

[3] كراتشكو فسكي أغناطيوس،تاريخ الأدب الجغرافي العربي،تح:صلاح الدين عثمان هاشم،الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية،ج1957،1،ص142.

[4] المرجع نفسه،ص142.

بومضات الخيال لتكسر روتين الكلام و تضفي على النص الرحلي بعض التشويق والانبهار ،و كذلك هو الحال بالنسبة للحكايات الخيالية التي توظف المصطلحات الموحية لشخصيات و فضاء حقيقيتين ،لهذا فلا يمكن الفصل بينهما لأنهما مكملتان لبعضهما البعض.

4-تصنيفات الرحلات:

إن الرحلات من الأمور المحببة إلى النفس البشرية، فهي الشيء الوحيد المساعد على اكتشاف الذات و الآخر و المحيط العام ككل و لهذا نشأت رحلات كثيرة ومختلفة باختلاف وجهة أصحابها ،و لأجل هذا السبب اختلفت تصنيفات الرحلة والرحالين كلٌ حسب المنهج و الغرض الذي دفع به للقيام بالرحلة:[1]

فالدكتور»**أحمد رمضان**»قسم الرحالة-لا الرحلة-إلى :رحالة جغرافيين،ورحالة مشارقة و رحالة مغاربة.

أما «**شوقي ضيف**» صنف الرحـــلات إلى:رحـلات جغرافية، رحـلات بحرية،رحلات في الأمم والبلدان، وفي كلا التصنيفين خلط في المنهج المتبع لذلك.

أما الدكتور «**حسين فوزي**» فقد ميز بين أربعة فِرَقٍ وصفت البلدان:[2]

1. فريق جمع معارف غيره من معاصرين و قدماء :كالبيروني و الإدريسي وأبي الفدا.
2. فريق تنقل في البلاد و وصف ما رأى و عرف مثل :التاجر سليمان وأبي دلف ،و ابن جبير ،و ابن بطوطة.
3. فريق عنى – بحكم مقره أو وظيفته – بتدوين ما سمعه مـن معارف،أمثال ابن خرداذبه و الجيهاني و أبي زيد الحسن السيرافي.

---

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري)، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، ط 1،1995 م، ص31.

[2] حسين فوزي،حديث السندباد القديم،دار المعارف،1943،ص37.

4. فريق سافر إلى بعض الأصقاع ،و لكنه لم يكتف بمشاهداته الشخصية بل راح يضيف إليها ما طالعه في كتب غيره ،أو سمعه في حلــه و ترحاله من أفواه السفار و هواة المعارف الجغرافية،و من هؤلاء المسعودي و البيروني و ياقوت الحموي.

وأغرب هذه التصنيفات ما قام به «**محمد الفاسي**» في مقدمة تحقيقه لكتاب»الإكسير في افتكاك الأسير»،حيث يقسم الرحلات إلى خمس عشرة نوع هي:

1. الرحلات الحجازية.
2. الرحلات السياحية.
3. الرحلات الرسمية.
4. الرحلات الدراسية.
5. الرحلات الأثرية.
6. الرحلات الاستكشافية.
7. الرحلات الزيارية.
8. الرحلات السياسية.
9. الرحلات العلمية.
10. الرحلات المقامية.
11. الرحلات البلدانية.
12. الرحلات الخيالية.
13. الرحلات الفهرسية.
14. الرحلات العامة.
15. الرحلات السفارية.

فهو الآخر في هذا التصنيف قد فكك و فصّل مالا يحتاج إلى الفصل بين الرحلات مثلا: فرق بين الرحلات :»الرسمية و السياحية و السفارية» وبين الرحلات:»الحجازية و السياحية والأثرية و الإكتشافية»،و فرق كذلك بين الرحلات «الإكتشافية و العلمية و الفهرسية»،و كل هذه المجموعات تصب في قالب يجمع بعضها ببعض ،إضافة إلى ذلك إدخاله للرحلات الخيالية بالرغم من أنها نوع قائم بذاته و ليست كباقي الرحلات.

أما أقرب التصنيفات للمنطق التي قدمها الدكتور «**صلاح الدين الشامي**» في كتابيه «الرحلة:عين الجغرافيا المبصرة»و «الإسلام و الفكر الجغرافي»،إذ يقسم الرحلة إلى ستة أنواع:

- الأولـــى: ما كان قبل الإسلام و هي رحلة الحج، رحلة الحرب،و رحلة السفارة.
- الثانيـــة: أضافها الإسلام عند دخوله ؛ هي: رحلة الحج «المعروف حاليا بأركانه وليس كما كان يؤدي في الجاهلية»،رحلة طلب العلم،رحلة التجوال والطواف.

و من هنا نخلص إلى **أنواع الرحلات العربية الخالصة**؛و هي:

1. الرحلة الرسمية.
2. رحلة التجارة و العجائب.
3. الرحلة العلمية.
4. الرحلة الدينية.

أما باقي الرحلات التي ذكرت في التصنيفات السابقة فهي تنضوي مع أو بالقرن تحت إحدى هذه الأربعة.

و من خلال ما سبق نلمس ما تعنيه الرحلة عند العرب منذ أقدم الأزمنة، وما مدى أهميتها كونها الوسيلة الوحيدة التي تمكن الإنسان من التعرف على العوالم الغريبة عنه وإدراك اختلافه عن الآخر.

5-الآخر في أدب الرحلات:

يعتبر مصطلح **الآخر** من المصطلحات التي أطلقت عند العرب على كل ما هو خارج مجال الذات على عكس معناه عند الغرب الذي يعني العدو و ما إلى ذلك،فكان بذلك مصطلح الآخر عند العرب أكثر انفتاحا و تقبلا واحتضانا لكل مغاير عن الذات.

أولا:مفهوم الآخر عند العرب:

رغم شساعة لفظ «**الآخـــــــر**» إلا أن المعاجم العربية لم تجعـل للمعـــنى اللغـــوي الحيز الوافر ،ولذلك طغى المعنى الاصطلاحي عليه فعرف الآخر على أنه كل إنســـان مختلف سواء كـان هذا الاختلاف شكليا أو ضمنيـا اختلاف من ناحية الشـكل «صفات فيزيولوجية أو بنى جسمية ...» أو ضمني بمعنى «فكريا ،سياسيا ،دينيا ،عرقيا...».

فمفهوم الآخر مفهوم كلي يتسع مدلوله لغويا لكل ما هو غير الذات ،و غير الذات يشتمل على كل ما هو موجود باستثناء الذات المعنية،فالآخر بالنسبة للإسلام هو كل الكون بدءً من الإنسان الذي يخالف الإسلام و مرورا بسائر المخلوقات كالحيوان و سائر الأحياء والجمادات.

غير أن الاستعمال الشائع للآخر تعنى فقط المعنى البشري لشخص معين أي آخر مختلف لفئة البشر.

يرى بعض الباحثين أن الآخر هو العدو، لكن هذه النظرة لا تشمل الآخرين حيث نجد الباحث عبد العزيز التويجري ينبه على ذلك بقوله : «و الآخر في منظور الخطاب الإسلامي ليس هو العدو، كما تذهب بذلك بعض الفلسفات المادية التي عرفها عصرنا،والتي بنت عليها مدارس سياسية و مذاهب اجتماعية تصوراتها، وكان لها ولا يزال الأثر القوي في

المدخل

رسم السياسات على أكثر من صعيد في عالمنا اليوم.إن هذه النظرة إلى «الآخر»أدخلت الإنسانية في مصاعب جمة ،وهي التي أدت إلى تكريس روح العنصرية والاستعلاء و الرغبة والهيمنة»[1].

ومن هنا نجد أن مفهوم الآخر عند العرب أكثر قابلية للفكر والجنس المغاير عن الأنا على عكس مبتكري لفظ الآخر الذي استعملوه للعنصرية و الاستعلاء على الضعيف ،فهذا الانفتاح الذي نجده عند العرب نابع من تعاليم الدين الإسلامي الدالة عن التقارب و التوافق مع الآخر مهما كانت أعراقهم و أعرافهم و حتى طبائعهم و وجهات نظرهم ،فالله جل وعلا جعل الأمم شعوبا و قبائل مختلفة ليتعارفوا و يتلاقحوا فكرا و نفسا و روحا ؛كما ورد في محكم تنزيله :

«يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»

[الحجرات ،الآية 13].

---

[1] عبد العزيز التويجري ،جريدة الشرق الأوسط،عدد9806،الإثنين1رمضان 1426هـ،3أكتوبر 2005.

ثانيا:نماذج من صورة الآخر عند العرب:

تمثلت صور» **الآخر** « لدى بعض المفكرين العرب في مفاهيم متعددة كل قدمها حسب رؤيته و تفكيره و وجهة نظره، تمثلت فيما يأتي:

1-صورة الآخر عند الجاحظ:

رغم انفتاح **الجاحظ** على كثير من الثقافات من خلال اطلاعه الواسع إلا أنّ له نظرة سلبية و نظرة إيجابية للآخر .فهو يميل في نظرته السلبية إلى الدين و العرف تارة و تارة أخرى ينفيهما ،ويحدد جوهر الاختلاف أنها الثقافة في حين يرى الآخر بنظرة إيجابية تمثلت في أنها الطرف الثاني الذي يحمل الإيجابيات التي تساعد على بناء المجتمع ،فقال في الفرس الذين يعتبرهم «الآخر السلبي»على الثقافة العربية في كتابه «البيان و التبيين» «وقد علمنا بأنّ أخطب الناس الفرس، و أخطب أهل فارس،وأعذبهم كلاما...أهل مرو»[1]،ففي هذا القول يقدم لنا الجاحظ الصورة الحسنة عن فن الخطابة التي تبرز تفوقهم اللغوي و العقلي،و ما يؤكد هذا ما شهد به أبو عمرو بن العلاء في حديثه مع أهل الكوفة ،فهو يقول : «لكم حذلقة النبط،ولنا دهاء فارس وأحلامهم»[2].ففي ذلك العصر أنشئ صراع فكري كبير بين المثقفين إثر الفتوحات الإسلامية سببه الإطلاع على ثقافة الآخر ،فالجاحظ بنظرته السلبية مال كثيرا في تصنيفاته إلى النسق الاجتماعي رغم ما عرف عنه من موضوعية في الحكم على الآخرين،فاستهانته بالآخر دليل على رغبة في إعلاء شأن الذات العربية.

و مع هذا فانفتاح الجاحظ على الآخر كان فيه نوع من المساواة حيث رسم صورة البخل في كتابه «البخلاء»صورة موازية للعرب و الفرس على حد سواء، فهو لم يشوه صورتهم «الفرس».وامتثل للحضارة الإسلامية المتقبلة للآخر بكل معطياته.

---

[1] الجاحظ ،البيان و التبيين،حققه فوزي عطوي،مكتبة الطلاب ،بيروت،دت،ص398.

[2] المرجع نفسه،ص226.

2-صورة الآخر عند ابن قتيبة:

إن الامتزاج الثقافي يحتم علينا معرفة ذواتنا قبل معرفة الغير،فهذا الصراع مع الذات و الغوص في مكنوناتها يسهل لنا إدراك هذا الآخر الذي يسكننا و لا ندركه و يتيح لنا التوافق و التكامل مع هذا الآخر الذي نجهله و نخافه ،فبقدر ما نفهم ذواتنا سيكون لنا قدرة على فهم الآخر بانتفاع أكبر ،فالآخر في حياة **ابن قتيبة** كان حافزا لإصداره كتاب «عيون الأخبار»أنه: « قال رجل لسعيد بن جبير :المجوسي يوليني خيرا فأشكره و يسلم علي فأرد عليه،فقال سعيد:سألت ابن عباس عن نحو هذا ،قال لي:لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه مثله»[1].

فاستحضار ابن قتيبة لهذا الشاهد دليل على أنّ الآخر في الإسلام ليس هو الآخر السلبي و إنما هو آخر إيجابي يُنظر له بنظرة إنسانية و قول ابن سعيد «لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه مثله» ليبرز –وهو أحد المجسدين لروح الإسلام –أن سلبية الآخر لا تكمن في عقيدته و انتماءاته ، إنما في فكره.فابن قتيبة جسد لنا انفتاح عصره على الآخر انفتاحا كليا فلم يقدم لنا الآخر بصورة سلبية بل نظر إليه نظرة عادلة أكد علينا بشكل كبير في كتابه «الشعر و الشعراء».

[1] ابن قتيبة عيون الأخبار ،مجلد 3،دار الكتاب العربي،بيروت،دت،ص165.

3-صورة الآخر عند أبي حيان التوحيدي:

التوحيدي هو الآخر لم يجعل للتعصب و الاعتزاز بالهوية حاجزا بينه و بين الآخر بل ألغى كل الحواجز و الحدود الجغرافية و النفسية و العرقية والدينية بل وكان منفتحا كلية على الثقافات الأخرى ،و هذا ما جاء في كتابه «البصائر والذخائر» في قوله: «حوى من الذهن لواقحه ،ومن العقل قرائحه ،و من العلم غنائمه ...و من التجربة أعيانها، و من الأمم ودائعها، ومن الحكمة فرائدها، ومن الأخلاق محاسنها، ومن العرب بيانها، ومن الفرس سياستها، ومن اليونان دقائقها»[1].

فلكل أمة نظرتها وما برزت فيه،ولكل فرد تجاربه و ما فحل فيه ،فالحاذق من يأخذ من كل بستان زهرة يزين بها فكرته و يقوي بصيرته ،فالتوحيدي اهتم بالثقافة الفاعلة في الحياة ،فكانت مؤلفاته إنسانية الفكر غير محدودة الجنس،و هذا نتيجة لمخالطته لكافة أنواع الناس .فكانت بذلك أفكاره و مذاهبه لكل الناس.

فمنهج التعامل مع الآخر عند التوحيدي يقوم على الفكر الإسلامي الذي ينفي النسب والجنس ،و يؤكد على الفكر الإسلامي الذي ينفي النسب والجنـــــس ،و يؤكد على الخلق والتسامح بين الناس،فاستحضر لنا مثلا قول راشد بن أبي الحمد الحسني : «السبب أولى من النسب و السبب هو التقوى،و بها تظهر الكرامة،قال تعالى : «**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**...» إنّ النسب لا يمدح به و لا يثاب عليه، وإنما هو كالطول للطويل، و القصر للقصير... و إنما المـدح و الذم، و الثواب والعقاب راجعة إلى الفعل»[2].فالإسلام لم يكن للمسلمين فقط بل جاء للمسلمين و غير المسلمين، فالنسب لا يتحكم فيه الإنسان بقدر ما يمكنه أن يتحكم بالعمل و القول الذي يجزيه عن نسبه.

فالعلاقة بين النص و الآخر لا تحدها العصبيات، فالمهم يصنعه و يتفوق عليه الأهم الذي يتمثل في التواصل الإنساني و الصداقة بين الأشخاص.

---

[1] أبو حيان التوحيدي، «البصائر والذخائر"، المجلد3، تحقيق د.إبراهيم كيلاني،دار الأطلس،دمشق،دت،ص12ز

[2] المرجع نفسه،المجلد1،ص173.

فالحضارة الإسلامية لا تُكِنُّ للآخر العداء و لا النقيصة، لهذا لم يشكل الآخر مشكلة أو جحيما على حد قول الأستاذ الطاهر لبيب [1]، فالتوتر الذي أصاب العالم العربي بالأخير كان بسبب ضعف الروح الإسلامية بسبب أطماع الآخر العسكرية و الاقتصادية.

[1] مجموعة من المؤلفين، صورة الآخر: ناظر ومنظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1999م ،ط1،ص227.

6-ثنائية الآخر االرحلة:

أجمعت المفاهيم حول أن **الرحلة** هي الانتقال من مكان اعتدنا العيش فيه إلى مكان آخر مختلف و جديد عن المرتَحل بكل معطياته من عادات و تقاليد ومناخ و طبائع وغير ذلك ،و الرحلة التي نشير إليها هي الرحلة التي يقوم بها علماء وأدباء ومفكرون،كالحسن الوزان و أبي حامد الغرناطي ،و ابن جبير ... بهدف الإطلاع الذي يأتي لنا بدقائق الأمور عن المجتمعات الأخرى و الذي يساهم بشكل كبير على معرفة تلك العوالم التي يوجد بها هذا الآخر.

إن ميزة الفضول التي يملكها الإنسان ساعدته على إتيان الأقطار و طي الأمصار للوصول إلى حقيقة العالم الجديد عنه.فقديما كانت الصعوبات التي تواجه المرتحل تزيد من إصراره للمضي قُدما نحو تحقيق الوصول إلى أبعد نقطة يمكنه الوقوف عندها «فطبيعة العلاقة بين الرحالة و المكان تمحورت في مضامين عدة انطبقت منها ملامح الآخر الساكن لهذا المكان، و قد كانت هذه العلاقة محاولة لاستكناه صورة الآخر ،إذ إنّ التصوير المكاني يقوم على بعدين أساسيين الأول منهما دلالي استقرائي أي ما تشي به الطبيعة المكانية من إشارات و ملامح ذات بعد عميق ومؤثر في استقراء الآخر من كافة النواحي ،و الثاني جغرافي يعتمد على وصف المكان لخلق التفاعل بين المتلقي و المكان المقصود و هذا يتم من خلال دقة الوصف و القدرة العالية في التصوير لاستثارة كوامن الحس بحيث تسهل عملية الربط بين المكان و ناوله»الآخر»محور الوصف»[1]،فقد قدّم الرحّالة المكان على أنه تجربة ذاتية و رؤية نافدة في الأعماق ،وإنْ أمعنا النظر في التجارب الارتحالية التي قام بها الرحالة فإننا نجد نفس الأماكن التي ارتحلوا إليها ،ولكن النظرة و المطمح يختلف حسب طبيعة الرؤية فالوزان مثلا،كان عندما يصف مجتمعا معينا يدقق النظر في أبسط حيثياته،وعندما يجد خلقا أو عادة سيئة في المجتمع المغربي يقول أنه غرناطي الأصل وإذا

[1] بلال سالم طحيمر الهروط،صورة الآخر في ادب الرحلات الاندلسية والمغربية،نشر وزارة الثقافة،عمان الاردن،2012،ص ص84-85

وجد ما يسوء الغرناطيين يقول عن نفسه إنه مغربي الأصل،ولكنه لا ينحاز في حكمه لعرق أو دين أو فكر إيديولوجي .أما التاجر سليمان فكانت رحلته إلى الهند و الصين بقصد المتاجرة «237هـ\851م»[1]،حيث يقول بلال سالم الهروط: «وكانت التجارة من أهم الأسباب التي أدت إلى تدوين الرحلات لمعرفة طرق التجارة البرية منها والبحرية ،و لعل أول من ارتبطت به الرحلات علم تقويم البلدان و المسالك والممالك،وذلك لمعرفة الطرق ووصفها،وتسهيل عملية التداول التجاري بين مختلف البلـــدان ،وقد ألقت رحلة كل من ابن جبير و ابن بطوطة الضوء على النشاط التجــاري و الإسلامي في البحر الأحمر و المحيط الهندي»[2]،فبالرغم من اختلاف الأهداف والرؤى بقيت المادة الرحلية هي الوسيلة الوحيدة لضبط العوالم و معرفة الآخر، الآخر بالمقصود الإسلامي العربي الخالص ،الآخر الذي يشكل شيئا مختلفا عن ذواتنا ،الآخر الذي يحمل لوحة فولكلورية عن أمة برمتها منذ نشأتها إلى هذه اللحظة ،الآخر المسالم الذي يتقبل غيره بينهم و يمنحه الأمان في أرضـــــه ،و يعايشه بكل معطيات الحياة من بساطتها إلى أكبر تعقيد فيها.فالآخر هو المختلف ثقافة و فكرا،المختلف كليا عنا ،فلا يمكن أن نحصره كما قال أرسطو فان أنه من لا يحمل ثقافة يونانية يجب محاربته و ملاحقته ،بل يجب معرفة هذا الاختلاف و محاولة خلق روابط مشتركة تساعد على فتح أفق أخرى تقارب بين المجتمعات المختلفة و يساهم في الربط بينها ،فلا يمكن لأحد أن يجد تكاملا في بيئته ويبقى محصورا فيها –و هذه من طبيعة الإنسان– لأن الفضول هو الباعث على خرق التخوف من الغير ،والملفت للنظر في تاريخ الرحلة العربية الإسلامية هو «أن طابع المبادرة الشخصية كان العامل الحاسم في غالبية هذه الرحلات ولم تكن الدولة ،أيا كان اسمها تقوم بتمويل هذه الرحلات إلا في أضيق نطاق،وربما كان ذلك مقصورا على الحالات التي كانت الرحلة فيها سفارة أو مهمة رسمية بتكليف من الحكام»[3] ،فهذا الأمر وإن أتعب كاهل بعض الرّحالة ماديا إلا أنه لم يحبط من عزيمتهم لأن «الدافع القابع وراء القيام بهذه الرحلة هو التمتع بالحياة و الوصول إلى مواطن

---

[1] رمضان أحمد،الرحلة والرحالة المسلمون،دار البيان العربي للنشر و التوزيع،جدة السعودية،دت،ص41.

[2] بلال سالم طحيمر الهروط،صورة الآخر في ادب الرحلات الاندلسية والمغربية،ص36.

[3] المرجع السابق،ص39

الجمال في كل مكان و الرغبة في اكتشاف ما لم تره العين فيقوم الرّحالة بالسفر بمحض إرادتهم دون دافع خارج عن حدود اللذات»[1]،فشيوع الإسلام وبسطه نفوذه على مساحات شاسعة من العالــم العربـي و غير العربي ساعد بشكل واضح في ضمان الأمن و الاستقرار للرحالة فصالـوا و جالوا في أرجاء الأراضين خاصة إذا تجاوزت الرحلات الذهاب إلى الحج أو المهام الرسمية ومثال ذلك أبي حامد الغرناطي «الذي زار أصقاعا عديدة بدافع الرغبة التي تفرضها الذات ،و حب الإطلاع على الحضارات بثقافاتها المتنوعـة ،و قد قضى من عمره شطرا كبيرا في الترحال والسفر»[2]،فلم يكن لهذا الفضول الجانح غير إشباعه.

هناك عوامل ساعدت على التمازج الثقافي و الفكري و التجاري بين البلدان أهمها اتساع البيئة الإسلامية بفضل الفتوحات من جهة و المثاقفة و الامتزاج الفكري من جهة أخرى بسبب البعثات العلمية ،فكانت لكل هذه الظروف يد في ذلك إلى أن خلقت جوا من اللحمة والتوافق ساهم بالأخذ و الرد و معرفة ذواتنا و معرفة الآخر ،فالتفاعل بين عدد من الثقافات خلق تعايشا في مختلف جوانبه»وفي خضم ذلك مثّل الآخر في خياله نقطة محورية تتكاثف نحو آراءه و تصوراته المتعلقة به وبطريقة تكوينه البيئي و الفكري .

و لا يقتصر مفهوم الآخر كما تشير نصوص الرحلات على المختلف عرقيا أو حضاريا بل يشمل المختلف فكريا أو عقائديا وهنا يأتي الاختلاف من داخل ما نسميه بجماعة الـ»نحن»نفسها ،و بهذا تصبح الفكرة أو العقيدة أو الإيديولوجيا وطنا جديدا أو مجتمعا يجمع المنتمين إلى الفكرة الواحدة»[3].

إنّ حتمية الارتحال في الأرض خلق حميمية بين الفعل و المفعول فيه لدرجة أنهما صارا وجهين لعملة واحدة ،فلا يمكن أن يذكر الارتحال ولا يكون فيه آخر نرتحل إليه وغريبا

---

[1] حسين نصار ،أدب الرحلة،الشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان،مكتبة لبنان،ط1، 1991م ،ص5.

[2] انظر :مقدمة رحلة أبي حامد الغرناطي ،رحلة تحفة الألباب و نخبة الإعجاب،حررها قاسم وهب،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ضبي ودار الفارس للنشرو التوزيع،عمان،ط1،ص ص11,12

[3] حيدر ابراهيم علي "صورة الآخر المختلفة فكريا :سوسيولوجيا الاختلاف والتعصب"،صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه،مركز دراسات الوحدة العربية،الجمعية العربية لعلم الاجتماع،بيروت،1999م،ص111.

نطرق بابه لذلك فالرحلة والآخر عنصران لثنائية تكمل إحداهما الأخرى لا يمكن الفصل بينهما.

خاتمة:

مهما تعددت المفاهيم و المصطلحات و حتى الأفكار و الرؤى تبقى الرحلة هي الانتقال من المحيط الحالي للرحالة إلى محيط مختلف العناصر، و يبقى هذا الذي نرتحل إليه مجتمعا يختلف عنا في الدين والثقافة وحتى العادات والتقاليد.

لهذا فالرحالة و بكل ما يقدمونه يبقون السفير الوحيد و الخيط الرابط بين المجتمعات لما يقدمونه من إطلالة تقدم بلدهم الأم في صورة بهية عند حلولهم ضيوفا على المجتمعات المختلفة التي حلوا بها.

الفصل الأول:

أدبية الرحلة وغرائبيتها.

1-مفهوم الأدبية.

أ/الأدبية لغة.

ب/الأدبية اصطلاحا.

2-أدبية الرحلة.

3-مفهوم العجيب و الغريب.

أ-مفهوم العجيب.

ب-مفهوم الغريب.

4-ثنائية العجيب والغريب.

5-العجائبية في الرحلات.

تمهيد:

سعى الإنسان منذ قديم الزمان إلى تفسير ظواهر مست حياته في كل جوانبها، ما إن يجد في كل مرة تفسيرا معينا إلا و نسبه لقوة أو لعنة إلهية حتى هيمنت هذه الفكرة على كل شاردة و واردة في حياته.فصارت تحدث له أمور غريبة أو أخرى عجيبة لا تخطر ببال مرة ينسبها إلى عالم الغيب و مرة إلى السحــر و التدجين ،و أخرى يراها بأنها وقائع عادية كل تختلف حسب درجة العجائبية بها ،فصار العقل البشري بذلك يعنون كل ظاهرة بألفاظ مختلفة ولكن بمعنى واحد هو العجائبية ،لكن هذه القصص العجائبية تحتاج بدورها إلى قالب تسرد فيه فصار لزاما على راويتها أو ناقلها أن يكون كفءً في جوانب عدة ،لغة وثقافة وبديهة و قوة تخييل ،لأن هذا الثراء الأدبي يساعده على خلق الصورة التي تجعل من الحدث أمرا عجائبيا يرقى إلى مصاف الفعل الباهر الذي يثير العقول و يغشي السامعين.

لكل شيء نواة ابتدأ التكوين انطلاقا منها و العجائبية كلفظ جامع للغريب والعجيب بدأ منذ الأزل أي منذ طفولة العقل البشري إلى اليوم ،فأي فكرة يمكن ترجمتها إلى أمر معين يحتاج إلى عقل ديناميكي واع و مجرد ،غير أن الإنسان في بداياته الأولى لم يكن يدرك ما يحيط به بل كان يهرب من الظواهر الطبيعية القاسية و يفسرها على أنها غضب الطبيعة ويستقبل الأمور التي تعجبه على أنها رضاء منها و مجازاة له لما قد يفعله من أمر حسن فصارت بذلك الأساطيــر و تعلق بها العقل البشري إلى أن استحوذت عليه في كل شاردة وواردة ،فصار الإنسان يتطهر ببعضها و يتعفف بأخرى ،إلى أن جاء عصر التنوير وصار الضغط النفسي الذي يتحمله البشر بسبب تعلقهم بهذه الدهنيات أمرا لا يطاق فصار ينحو إلى العقل فبدأ التسليم لما وجد عليه آباءه وأجداده ،ففسر كل أمر بطبيعة ما يحمله و زال عنه الخوف منها و بالرغم من أن الإنسان وصل إلى درجة كبيرة من الوعي إلا أن شائبة الطفولة الذهنية ظلت لصيقة به إلى الآن حيث إن بعض الظواهر لم يستطع تفسيرها مهما حاول بل و صارت فكرة أن أمرا معينا إذا حدث يعود به بالدرجة الأولى إلى العجائبية المسلم بها صار تدريجيا يعود إلى الوراء إلى فكرة التسليم بالأمر وكفى ليس عجزا منه عن ترجمة الظواهر المختلفة وإنما استحبابا منه لبعض الأمور العجيبة التي جعلها مادة يتسلى

لسماعها حتـى و إن لم يؤمن بها في قرار نفسه ،فصارت الأساطير مهبط العقل البشري وراحة له.

كي يستطيع الإنسان نقل كل شاردة و واردة عن أقوام مغايرة وجب عليه بالضرورة أن يكون ذا علم و دراية واسعتين بالآداب و العلوم المختلفة إضافة إلى ذلك أن تكون له عين ثاقبة مدركة لكل ما يراه و محلل لا يغيب عنه شيء ولا يلهيه أي شيء،أن يكون لبقا كيسا رطب اللسان أمين الفعل و القول و الأهم بعد كل هذا أن تكون له قوة التصوير الفني والأدبي ليتمكن من رسم إبداعية حقيقة يمكن لقارئها استيعابها و تخيلها هذه الموصوفات الصورة الكاملة التي تستنهض الخيال و تأخذه إلى مصاف الفعل الحقيقي وكأنه هو من يراها و ليس الرحالة الكاتب عنها لأن الكتاب الأدبية تساعد أكثر فأكثر إلى جعل الأمر العادي أمرا خارجا عن المألوف بفضل المحسنات و التلاعب المحمود بالأوصاف .

إن الرحلة أكبر قالب للأمانة المعرفية فبها فقط أدركنا العوالم و وقفنا على حياة الأمم جيدها و رديئها صغيرها و كبيرها حتى صرنا مشدودين لها خاصة إذا كان في هذه الرحلات ما يلوح بالغرائبية لأن الإنسان لا يشده الفعل أو القول البسيط المتعود عليه وإنما يلفت حواسه الغريب العجيب الذي لم يسمع أو ير مثله في مجتمعه و حتى في حياته ككل.

إذا فللعجائبية مادة تدعم تكوينها هي الأدبية ،فهاتان المادتان و إن كان يظهر عليهما الاختلاف الكبير إلا أنهما إذا التحمتا صارتا وجهين لعملة واحدة تتمثل في الرحلة تزينها العجائبية التي تستساغ في قالب أدبي يأخذ بألباب القارئين و يشدهم بقوة إلى معرفته والغوص فيه.

1-مفهوم الأدبية:

أ-الأدبية لغة:

لفظ الأدبية من الألفاظ الحديثة لهذا ارتبط في مختلف المعاجم التي ذكرته بما يلي:

ففي لسان العرب:

الأدب: أَدَبُ النفس و الدرسِ، و الأدبُ:الظَّفْرُ و حسن التناول.

و أدبُ، بالضّم، فهو أديبٌ، من قوم أُدباءَ[1].

وفي المعجم الوسيط:

الأَدَبُ: رياضة النفس بالتعليم و التهذيب على ما ينبغي. و الأدب جملة ما ينبغي لدى الصناعة أو الفن أن يتمسك به، كأدب القاضي و أدب الكاتب. والأدب الجميل من النظم و النثر.و الأدب كل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة.[2]

الأدبــيُّ: المنسوب إلى الأدب.يقــال:قيمة أدبيـة: تقدير معنوي غير مـادي،ومنه:مركز أدبي .و شجاعة أدبية، و كسب أدبي و موت أدبي «محدثة»[3].

إذا فلفظ الأدبية مشتق من «الأدبي و الأدبيّ من الأدب فيكون لفظ الأدبية في منطقة كأنه النعت و القائم مقام منعوته و هذا المنعوت المتعجب و المقدر تقديرا هو «السمة» كأنما قلنا في البدء «السمة الأدبية» التي إذا توفر عليها الكلام أصبح كلاما فنيا أي

[1] ابن منظور، المصدر السابق ،ص43.
[2] مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط،ص9.
[3] المصدر نفسه،ص10.

أدبا،وبناء على هذه الدعامة تتأسس العبارة الثنائية التي يجنح فيها لفظ الأدبية إلى أن يرد في التركيب مضافا إليه «[1].

ب-الأدبية اصطلاحا:

يعتبر مصطلح الأدبية من المصطلحات التي دخلت المجال الأدبي في وقت متأخر حددت بدايته بالربع الأول من القرن العشرين تزامنا مع ظهور الرؤى النقدية للحركة الشكلانية الروسية التي أتت بطرح جديد ترك بصماته في دراسات الأدب و هو علمنة الأدب وعلى رأسهم رومان جاكوبسون الذي اصطلح لفظ "الأدبية" على الخصائص التي تميز الأدب عن غيره ،إذ يقول: «ليس الأدب في عمومه هو ما يمثل موضوع علم الأدب ،إن موضوعه هو الأدبية ،أي ما يجعل من أثر ما أدبيا»[2]. «و ذلك باستخلاص جملة من الشروط و الخصائص والمقاييس التي تجعل من خطاب معين أدبيا ،انطلاقا من لغته بما لها من أثر جمالي ناجم عن كونها هي قوام العمل و مادته و سمعته المائزة ،فتأخذ اللغة الأدبية إلى جانب قيمة التوصيل و التعبير عن المعنى قيمة الصياغة الفنية الجمالية التي تفضي إلى الاستمتاع بها و بصورها و عباراتها وبتراكيبها وبمفارقاتها ثم تُحَوَّل لنظامها»[3].

إذًا فالعنصر الجوهري في العمل الأدبي -حسب ما تدعو إليه الشكلانية- مرتبط بأدبية الأدب ،أي بالعناصر التي تبني النص و تحاول تحديد جنسه الفني و المكيف لطبيعة تكوينه و الموجهة لكفاءته في أداء وظيفته الجمالية على وجه التحديد.حيث انتقلت قيمة العمل الأدبي من السياقات التاريخية و الاجتماعية و النفسية إلى طبيعته الشعرية التي لا تقتصر على جنس بذاته و إنما تشمل الأجناس الفنية كلها[4].

[1] عبد السلام المسدي،المصطلح النقدي،مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر ،تونس،1994،ص115.
[2] سعيد يقطين،تحليل الخطاب الروائي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،بيروت،1997،ص13.
ينظر :محمود العشيري،الاتجاهات الأدبية و النقدية الحديثة (دليل القارئ العام)،ط2،ميريت
[3] للنشر،القاهرة،مصر،2003،ص26.
[4] ينظر: صلاح فضل ،مناهج النقد المعاصر،دب،دار الآفاق العربية،القاهرة،مصر،1996،ص88.

فأي فكرة يقوم كاتبها بترجمتها إلى نص معين يحتاج بداية إلى لغة مميزة يُسوق بها أفكار و تكون هذه اللغة بالدرجة الأولى أدبية يمكن لأي قارئ استساغتها لأن قوة التعبير الأدبي تحدد بجماليته و وقع بلاغته أكثر من مدى زخم محسناته و تغريب ألفاظه.

2-أدبية الرحلة:

في البداية اعتمد مصطلح الأدبية على كل المعطيات التي تجعل من النصوص المكتوبة نصوصا أدبية ،وكانت لا تخرج عن دائرة النثر و الشعر ،إلى أن تغيير الأوضاع الفكرية والثقافية التي حالت دون هذا الربط الذي يحصر المفهوم في فكرته القديمة،فكان بذلك هذا الانسلاخ بابا واسعا أدخل كل ما يكتب من نصوص في خانة الأدب ،فصارت المحددات النوعية لأي جنس أدبي تغوص هي الأخرى في الأدب ،فصارت مادة الاقتصاد و علم الاجتماع والأنثروبولوجيا والميتولوجيا ،و حتى المادة الرحلية كلها تصب في قالب الأدبية كون الأدبية هي «ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا»[1].فالأدبية لا تضم الكتابات الأدبية فحسب، و إنما تضم أيضا كل نص كُتب في قالب الأدب و إن تغيرت مادته .

يعتبر أدب الرحلات من الآداب القديمة التي صنفت حديثا و جُعل لها حيز خاص عرّف بها و أسس لمضامينها ،فالتطور الذي مس مصطلح الأدبية سمح للأدب الجغرافي بإدخاله في خانة الأدب ،والأمر ليس بالغريب فلغة الخطاب التي يخط بها الرحالة قصصهم تحمل من الصبغة الأدبية أكثر مما تحمله من الصبغة الجغرافية الجافة وهذا واضح كل الوضوح في التصوير الفني والأدبي للمواقع المختلفة وللغرائب الموجودة في سائر البلدان المغايرة عن البلد الأم للرحالة.

الرحلة بوصفها مادة أدبية تسمح لنا بتذوق جمالية بارعة السبك و التصوير اللامتناهي للصور والقوالب المختلفة حيث نلمح الشاعرية و العجائبية وحتى الطريف من المواقف فبهذا الزخم والتنوع اللامحدود لما تحمله الجمالية الأدبية في الرحلة نجد أنفسنا أمام كم هائل من الآداب والعلوم المختلفة اختلاف وثراء الرحلة بذاتها ،حيث نجد في النص الرحلي الوصف والتخييل والنعوت والتصوير الفني كما نجد من العلوم التاريخ والوقائع والجغرافية أي قياس المسافات والتضاريس والمكاييل ...الخ من نقطة سابقة إلى أخرى لاحقة.

[1] بوريس إخنباوم ،نظرية المنهج الشكلي ،تر:إبراهيم الخطيب،الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت،ط1،1982،ص35.

فهوراس مثلا عندما قال أن «الشعر ممتع و مفيد «أصاب فيما قال لكن لو جعلنا بدل الشعر الرحلة لاستقام القول أكثر و لكان أكثر دلالة لأن جانب الإمتاع في الرحلة يحيل بالدرجة الأولى إلى أدبيتها ،»أما جانب الإفادة فيها فيحيل على الفائدة المضمونية المتمثلة أساسا في تنوع المادة في الخطاب الرحلي ،فأدب الرِحلات على هذا الصعيد ثروة معرفية كبيرة و مخزونا للقصص و الظواهر والأفكار»[1].وبهذا نلمس صعوبة بناء مادة رحلية كما قال :محمد المر و أنيس منصور ،حيث إن الأول يرى بأنه لا يتصور أدب الرحلات دون الخيال ،و الثاني يضع لارتقاء النص الرحلي إلى مصاف الأدبية وفق شرطين أساسيين هما:

1-أن يكون الرحالة أديبا بالدرجة الأولى، و رحّالة بالدرجة الثانية.

2-أن يُمزج فن الترحل و الحكايات بالصياغة الأدبية ،لينتج عملا أدبيا به مادة متنوعة[2].

فالرحلة تختلف باختلاف المرتحل ،فمثلا رحلة ابن بطوطة و الحسن الوزان نجد فيهما المادة الرحلية أكثر من الأدبية على غرار رحلة ابن جبير التي نلمس بها الأدبية أكثر من الرحلة.

فإذا قمنا بوضع محددات للأدبية في الرحلة نجد عبد الرحيم مؤذن قد لخصها في أربعة نقاط كبيرة في مقاله»رحلة أدبية أم أدبية الرحلة»؛ و في هذا يقول:[3]

1. هيمنة البنية الأدبية على بنية السفـــر ،و هذا راجع إلى توفر النصوص على الجانب المـــــادي أو المجـــازي كالشخصيـــات أو الموضوعـــات والتقاليد والموروثات ،فإذا كان الأمر كذلك فإن السفر يعتبر أمرا ثانويـــا والأساس هو المادة الكتابية أي الأدبية مثلا القصائد الجاهلية تضمنت الظعن الواقعي و غير الواقعي «الحلم»إلا أن فعل الارتحال لم يتوقف على الانتقال وإنما توقف عند بنية القصيدة الحاملة للنص الرحلي .إذاً غلبة الأدبية على الرحلة.

[1] الخامسة علاوي،المرجع السابق،ص24.
[2] منصور أنيس،المجلة العربية،متاح على الشبكة ، www.arabia.com.
[3] عبد الرحيم مؤذن،رحلة أدبية أم أدبية الرحلة؟شبكةwww .fikrwanakad.aljabria bad.com،[مارس2005].

2. أن يكون السفر غير متعمد أي اضطراري كأن يكون نفيا أو هجرة أو ترحيلا أو اغترابا وهذا الأمر يقتضي بالنص الرحلي الحتمية و محدودية الفعل .أما إذا كان السفر قصديا فهو مساعد بالدرجة الأولى على جعل النص الرحلي نصا حاملا لخصائصه النوعية سواء من ناحية المسار العام للرحلة L'itinéraire ،أو على مستوى طبيعة علاقة النص الرحلي بالنصوص الأخرى ،حيث يقول عبد الفتاح كيليطو: « السفر يسمح بالتصنيف ،وهو في الوقت ذاته يمكننا من تلمس خصائص الكتابة ،ما دامت الرحلة نوعا أدبيا يقلص من دور المصادق ،و يقدم لنا ،بقدر كبير ،قواعد إنتاج النص و قواعد تلقيه معا»[1].
3. لا يقتصر السفر على فعل الارتحال ماديا، بل إن السفر يعاد إنتاجه على مستوى الكتابة.و هذا ما يتيح للسارد الجوال Le narrateur embulant الذي يتجول بخيالـه في جل الأمكنة أن يكتب نصوصا رحلية مختلفـة و ثرية ثراء الأمكنة ووسيلته في ذلك الوصف الذي ساعده بشكل كبير في الدخول إلى عالم الأدب. فالكثير ممن كتبوا في الرحلات و الأسفار لم تكن جل كتابتهم بانتقالهم من مكان لمكان بل بانتقال فكرهم و خيالهم المجنح.و في هذا يقول حسيـن محمد فهيـم إنه: « نظرا لارتقاء الوصف في كثير من أعمال الرحالة و بلوغه حدا كبيرا من الدقة ،علاوة على الأسلوب القصصي السلس و المشرق ،أدخلت أدبيات الرحلات متعة ذهنية كبرى»[2] .فالوصف هو المادة الجامعة لفن الرحلة والفن القصصي والسفر–على حد قول عبد الرحيم مؤذن –هو المنتج للصورة السردية أو الفعل السردي المعتمد أساسا على المكان الذي من أهم خصائصه عدم الثبات أو التغير ،مما يؤدي إلى حوارات متعددة عبر الأمكنة المختلفة التي يمر بها الرحالة.
4. اعتماد النص الرحلي على عناصر أدبية تنتمي إلى الكتابة البصرية ،سواء بالمعنى «التشكيلي»،أو بالمعنى الأدبي ما دام النص الرحلي عبارة عن «صور» متلاحقة في الزمان و المكان .

[1] عبد الفتاح كيليطو،المقامات ،تر عبد الكريم الشرقاوي،دار طوبقال،1993،ص127.
[2] محمد فهيم حسين ،أدب الرحلات ،دار المعرفة الكويت،1989،ص17.

فالمستوى التشكيلي يضم كل ما يعنى بالتخطيط و التشكيل انطلاقا من الخارطة الجغرافية مرورا بالمزارات و الأماكن المقدسة»...»، أما الصورة الأدبية فتصل إلى أعلى مراحلها الجمالية في النصوص عندما تمكننا من تقديم لقطات رائعة يكتب فيها الرحالة بـ»المكان» عوض أن يكتب عن المكان. لأنه ينقل لنا تجارب المعاناة الخاصة المبنية على شحذ الذات بأقصى مراحل الانفعال و التفاعل مع تجربة السفر.

فالأدبية في الرحلة لا تحتاج فقط غلى لغة تعج بالتعابير الأخاذة لفظا أو معنى وإنما تحمل السمة التي تجعل من الفكرة و الصورة المنقولتين من طرف الرحالة مستساغة و إن كانت عجائبية و بعيدة عن الواقع ،فأدب الرحلات قد أفاد بغنى موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان ،عن اللهو و العبث اللفظي و التكلف في تزويق العبارة وإيثار للتعبير السهل المؤدي للغرض لنضجه بغنى تجربة صاحبه مما يفتقده كثير من الأدباء والمحترفين في بعض عصورنا الأدبية ،و لا يعني هذا أن الأسلوب في الأدب قد تخلص من كـــل الصفـــات و العيوب الأسلوبية الأخرى ،فهو يعتمد السجع أحيانا وينحو منحى الجفاف و الصرامة أحيانا أخرى خاصة في تناوله للموضوعات العلمية .و مع هذا يظل مشوبا في أغلب الأحيان بشيء من اللين»[1].و هذا ما يغني النص الرحلي و يشوقنا إليه.

إن الصورولوجيا التي جعلت المتن الرحلي يميل بالدرجة الأولى إلى الأدب أكثر من غيره من العلوم لم يكن من فراغ بل كان من أفكار شخصيات حملت فكرة الارتحال بنفس قوة القلم و اللسان في جعل الأوطان كلها كتابا مفتوحا على مصراعيه بلغة بقدر ما هي مباشرة و دقيقة بالتعابير بقدر ما هي أدبية و بسحر جمالي لا مثيل له.

[1] حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، لبنان، ط2، 1983، ص9.

3-مفهوم العجيب والغريب:

أ-مفهوم العجيب:

جاء لفظ «عجب» في المعاجم العربية على المعاني التالية:

في لسان العرب:

عجب:جمع العَجَبِ:أعجابٌ.قال :

يَا عَجَـبًا لِلدَّهْرِ ذِي الأَعْـجَابِ الأَحْدَبِ البرغوثِ ذِي الأَنْيَابِ.

وَ_عَجِبَ منه يعجَبُ عَجَبًا،و تَعَجَّبَ،و اسْتَعْجَبَ،قال:

وَمُسْتَعْجِبٍ مِـمَّا يَرَى مِنَ أَنَاتِنَـا وَلَوْ زَبَنَتْهُ الحَرْبُ لَم يَتَرَمْرَمِ.

و الاسْتِعْجَابُ: شدة التعجُّبِ.و في النوادر :تعجَّبَني فلانٌ،و تفتنني ،أي تَصَبَّاني والاسم:العجيبة والأعجوبة.

والتعاجيبُ :العجائب،لا واحد لها من لفظها، قال الشاعر :

ومن تَعَاجِيبِ خَلْقِ الله غَاطِيَـةٌ يُعْصَرُ مِنْهَا مُلَاحِيٌّ غَرْبِيبُ.

الطاغية :الكرم.

قال الزجاج أصل العجب في اللغة أن الإنسان إذا رأى ما يُنكره و يقل مثله. قال:قد عجبت من كذا.

و عند ابن الأعرابي:العجبُ النظر إلى شيء غير مألوفٍ و لا معتادٍ.

وقصة عَجَبًا ،وشيء مُعْجَبٌ إذا كان حسنا ،و التعجب :أن ترى الشيء يعجبك،تظن أنك لم تر مثله.و قال صاحب العين :بين العَجِيبِ و العُجَابِ فَرْقٌ،أما العجابُ فالذي تجاوز حد العجب.قال الجوهريٌّ:ولا يُجمع عجب ولا عجيبٌ، و يقال:جمع عجيبٍ عجائب.[1]

و في المعجم الوسيط:

«عَجَبَ»منه عَجَبًا، و عَجْبًا، وعُجْبًا: أنكره لقلة اعتياده إيّاه.

«الأُعْجُوبَةُ»:ما يدعو إلى العجب.»التعاجيب».الأَعَاجِيبُ[لا مفرد له].

«التَّعَجُّبُ»: «في النحو «استعظام أمر ظاهر المزية خافي السبب.وصيغتا التعجب عندهم ما أفعله و أفعل به.و في التنزيل العزيز:"إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ عُجَابٌ".و عجب عُجابٌ: شديدٌ [للمبالغة].

« العَجَبُ»:روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشئ .يقال :هذا أمرٌ عَجَبٌ ،وهذه قصة عجبٌ عجابٌ: شديدٌ[للمبالغة].[2]

وبالرجوع إلى القرآن الكريم نجد أن كلمة «عجب»وردت في الآيتين الكريمتين من سورتي "هود" و "ق"،في قوله تعالى على التوالي :

"قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ "

هود الآية «72».

"ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ 1 بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ2"

ق الآية 1-2.

[1]ابن منظور، لسان العرب، ص ص2811، 2812.
[2]مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط،ص584.

ففي كلا الموضعين جاءت صفة ؛فأما الأولى فهي تعجب سارة من أن تلد هي وبعلها طاعنان في السن و أما الثانية فهي عند مجيء الرسول»صلى الله عليه وسلم»وبعثه الله .فكلا الحادثتين أوقعتا العجب و الحيرة والدهشة في نفسية متلقيها لأنه أمر لم يتعود أحد على سماعه.

ب-مفهوم الغريب:

لغة :تمثل معنى الغريب في ماد ة «غَرَبَ» في المعاجم العربية كما يلي:

*في لسان العرب:

الغريبُ: الغامض في الكلام و كلمة غريبةٌو قد غربت و هو من ذلك.و أَغْرَبَ الرجل :جاء بشيء غريب.[1]

*في المعجم الوجيز:

مادة غَرُبَ:عن وطنه –غربةٌ.ابتعد عنه، فهو غريب «ج» غُرَبَاءُ. و هي غريبة، «ج»غَرَائِبُ وغرب الكلام غَرَابةٌ:غَمُضَ و خَفِيَ، فهو غريبٌ. «أغرب» في كلامه:أتى بالغريب البعيد عن الفهم، «استغرب» الشيء:عدَّه غريباً.[2]

وفي المعجم الوسيط:

«استغرب» الرجل في الضحك :بالغ فيه .و استغرب الشيء:وجده أو عده غريبا.[3]

أما اصطلاحا فقد ارتبط فعل التعجب و كلما وعجيب بالمدهش و الخارج عن العادة وبكل ما لا يمكن أن يتقبله العقل، فعند العرب ارتبط هذا المصطلح أولا بالشعر كونه ديوان العرب فموضع العجب فيه السبك الذي يتميز به الشعر عن النثر من جهة و من أخرى «فإن ابن

[1] ابن منظور،المصدر السابق،ص3226.

[2] مجمع اللغة العربية ،المعجم الوجيز،ص447.

[3] المعجم الوسيط،المصدر السابق،ص647.

سينا قد أبان ذلك حينما أكد أن التعجيب هو ما يثير الانفعالات التخيلية أو يرفض الاذغان على المتلقي عاجلا أن غاية الشعر العربي أمام نظيره اليوناني هو:

-إما التأثير في النفس و حملها على الفعل و الانفعال.

- أو العجب أي الدهشة بحسن التشبيه».[1]

حيث يقول الجاحظ حول ترجمة الشعر إلى لغات أخرى: «والشعر لا يُستطاع أن يترجم ولا يجوز عليه النقـل و متى حوّل تقطع نظمه وبطل وزنه، وذهب حسنه و سقط موضع التعجب»[2].ويستطرد ابن سينا في قوله عن التعجيب في الشعر أنّ: «الشعر قد يقال للتعجيب وحده»[3]

ويقصد بذلك أن الشعر أساسه التعجيب لما فيه وهذا هو سر الحلاوة التي يحملها نظمه.وفي هذا الصدد يرى عاطف جودة أن «ربط ابن سينا بين التخييل و إثارة التعجيب،هو ربط يعني أن أخيلة الشعر ،تبعث في المتلقي إعجابا بالصور التي تبدعها مخيلة الشاعر من المعطى الحسي ،غير أن الإعجاب في هذا السياق غير دال ،ذلك أن التعجب هو في الواقع تعبير عن ضرب من الاستحسان أو الاستنكار .وإنما الدال على رأيه أن نربط التخييل وثارة الدهشة ،لما يحيل عليه التدهش من حدة وتنوع يُبدعها الخيال»[4].فالتعجيب أساسه اللاواقعية في نسخ الأفكار الملقاة و مادة ذلك هو التخيل وابتداع الأفعال و الأقوال غير المعتاد التعامل بها بين المتلقين ،فهذا الفعل و القول غير مألوفين نسبيين يرجعا إلى نفس المتلقي فبقدر ما يكون نسخ الفكرة المتخيلة بشكل جيد كلما كانت نسبة الدهشة أكثر لأن «صفة التعجيب و الاندهاش صفة نفسية تدل على تأثير الشعر العظيم في المتلقي «[5].

[1] الخامسة علاوي،المصدر السابق،ص43.
[2] الجاحظ أبو عثمان،كتاب الحيوان، تر عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت، ج1، ص75.
[3] الجوزو مصطفى، نظريات الشعر عند العرب الجاهلية والعصور الإسلامية(2)،دار الطليعة ،بيروت ،ط1، 2002،ج2،ص ص252-253.
[4] جودة نصر عاطف،الخيال مفهوماته ووظائفه ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ،1984،ص149.
[5] الجوزو مصطفى،المرجع السابق،ص143.

أما القزويني فيعرف العجب في كتابه «عجائب المخلوقات»بقوله هو: «الحيرة تعرضّ الإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه»[1].

وفي ذات السياق يعرف الغـريب بقوله أن: «الغـريب كل أمر عجيب، قليل الـوقوع،مخالف للعادات المعهودة و المشاهدات المألوفة»[2]وعليه فكل رد فعل ناتج عن المتلقي هو انفعال لا إرادي.

إذاً فالانفعال «هو الكيف الشعوري الذي يطرأ على المتلقي بوصفه مستقبلا لفعل الإبداع التخيلي»[3]

وهنا نجد همزة وصل بين ما ذهب إليه ابن سينا في أن التعجيب و التخييل والانفعال،وبين ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني بأن التعجيب منشئه التخييل بقوله أي الجرجاني بأن التخييل : «مداره على التعجيب و هو والي أمره و صانع سحره ،وصاحب سره»[4].ومثاله لهذا التخييل ببيتين من الشعر يظن أنهما إما لابن العميد و إما لأبي إسحاق الصابي؛وهما:

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِـنَ الشَّمْـسِ نَفْسٌ أَعَزُ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي.
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي وَمِنْ عَجَـــبٍ شَمْسٌ تُظَلِلُنِي مِنَ الشَّمْسِ.

أما حازم القرطجني فيزيد على التخييل الندرة ليحصل التعجيب ،لقوله: «أن أفضل الشعر ما حسنت محاكاته و قامت غرابته»...» وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة واضح الكذب خليا من الغرابة «[5]

فمصطلحا الغريب والعجيب وإن وجدنا في معانيهما اختلافات و تمفصلات إلا أنهما يصبان في قالب واحد و هو الخروج عن المألوف.

[1]زكرياء بن محمد القز ويني ،عجائب المخلوقات والحيوانات و غرائب الموجودات،منشورات مؤسسة الأعلمي ،بيروت،ط1،2000م،ص10.
[2]المرجع نفسه،ص15.
[3]جودة نصر عاطف، المرجع السابق، ص149.
[4]الجرجاني عبد القاهر،أسرار البلاغة، ت:محمد الفاضلي،المكتبة العصرية ،صيدا بيروت،ط3،2001،ص226.
[5]القرطاجني أبي الحسن حازم،منهاج البلغاء وسراج الأدباء،دار الغريب الإسلامي ،بيروت،ط2،1981،ص72

4-ثنائية العجيب و الغريب:

تعتبر لفظتا العجيب والغريب من المصطلحات المتداخلة فيما بينها فهما يتقاربان في المفهوم إلا أنهمـــــا تصبان في معنى الأمر الخارج عن المــألوف والأمر البعيد عما يتوقعه العقل إلا أن المؤسس الغربي Todorov Tzeveten للأدب العجائبي تودوروف تفستان وضع شروطا ثلاثة للعجائبية تمثلت في:[1]

1. لا بد أن يحمل النص القارئ على اعتبار عالم الشخصيات كما لو أن تلك الشخصيات شخوص أحياء من جهة، و على التردد بين تفسير طبيعي وتفسير فوق طبيعي للأحداث المروية من جهة ثانية»...»إن العجائبي حالة خاصة من المقولة الأعم للرؤية الغامضة.
2. قد يكون هذا التردد محسوسا بالتساوي من طرف شخصية، و على ذلك يكون دور القارئ مُفَوَّضَا إلى الشخصية،و في نفس الوقت يوجد التردد ممثلا ،حيث يصير واحدا من موضوعات الأثر ،و يمكن تسمية هذه الوحدات بردود الأفعال .و من جانب آخر يرجع إلى المظهر الدلالي، بناءً على أن الأمر يتعلق بموضوعة ممثلة.
3. ضرورة اختيار القارئ لطريقة خاصة في القراءة حيث سيرفض التأويل الأليغوري* والتأويل الشعوري للأحداث .

بعدها يضع فروقا جوهرية بين الغريب و العجيب محاولة منه جعل كل من مفهوم العجيب merveilleux والغريب l'étrange على حدة وفي هذا الصدد يقول: «فالغريب ليس جنسا واضح الحدود بخلاف العجائبي، وبتعبير أدق إنه ليس محدودا إلا من جانب واحد هو جانب العجائبي،أما الجانب الآخر فهو يذوب في الحقل العام للأدب»[2] .و هو لا يحقق للعجائبي على حد قول تودوروف إلا شرطا واحدا من الشروط الثلاثة له المتمثل أساسا في وصف ردود الأفعـــال ،و لما كان هذا النوع متعلقا بأدب الرعب الخالص ،فإن رد

[1] تودوروف تزفتان،مدخل إلى الأدب العجائبي-الغريب-المدهش،تر الصديق بوعلام،دار الكلام ،الرباط ،ط1،1993،ص55.
*الأليغوري:تعني في الكتابات العربية بالمرموزة و تعني عند فلتشر"أن تقول شيئا و تعني به شيئا آخر"
[2] تودوروف،المرجع السابق،ص70.

الفعل يمكن اختزاله في الخوف المرتبط بالشخصيات، و ليس بواقعة مادية تتحدى العقل،وهو بذلك عكس العجيب الذي يتسم بوجود أحداث فوق الطبيعة ،دون افتراض رد فعل [1].

إن هذا الطرح الذي قدمه تودوروف أحدث ضجة فكرية عند العرب حيث برزت آراء تؤيد و أخرى تتنافى و الطرح خاصة فكرة التفريق بين العجيب و الغريب فالقزويني عرف العجيب على أنه «الحيرة المتأنية عن عدم إدراك الأسباب المؤدية للحدث إضافة إلى عدم معرفة كيفية تأثيرها فيه و متى أدرك الإنسان السبب بطل منه العجب لأنه حصل على تفسير الحدث على أقل تقدير على أقل تقدير»[2] .

أما الطاهر المناعي الذي جمع بين ما قاله الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين»الذي رفض التمييز بين المصطلحين من جهة و من أخرى ما جاء به القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات»إذ يقول الطاهر المناعي : «عندما نتحدث عن العجيب ،نتحدث ضمنيا عن الغريب ، ونعتبر موقف التعجيب ناتجا عن غرابة أو حادثة غير مألوفة ،فالعلاقة بين العجيب والغريب علاقة سبب بنتيجة ،إذ الغريب مهما يكن شكله حسيا أو معنويا هو الباعث على رد الفعل و بقدر ما تتعاظم الغرابة يقوى التأثير ويتضاعف رد الفعل و ينتقل السامع و القارئ من موقف المتعجب إلى موقف الرّوع،ويحدد موقفه من الأحداث تبعا لأثرها في نفسه «[3].و بالرغم من أن المناعي ضد فكرة تودوروف إلا أنه وقع فيما يرمي إليه هذا الأخير أي أن الغريب هو الباعث على رد الفعل والحدث العجائبي يحتاج وجود حادثة غريبة تثير ترددا عند القارئ أو البطل[4] .»و لا تظهر الغرابة إلا في إطار ما هو مألوف»[5].

و في هذا يتلاقى القزويني و تودوروف عندما عرّف العجائبي حيث حصر المدة بين الفعل و رد الفعل على أنها مدة تفسير الظاهرة وإدراكها إن كانت عقلانية أو لاعقلانية.

---

[1] الخامسة علاوي ،المرجع نفسه ،ص52.

[2] المرجع نفسه،ص58.

[3] المناعي الطاهر ،العجيب و العجاب –الحد و الوظيفة السردية –مجلة المسار ،عدد مزدوج 34-35،فيفري 1998،ص135.

[4] تودوروف،المرجع السابق،ص58.

[5] عبد الفتاح كيليطو ،الأدب و الغرابة ،دراسات بنيوية في الأدب العربي،دار الطليعة ،بيروت،ط3،1997،ص60.

في حين أن قراءة الناقدة نعيمة بن عبد العالي للعجيب عند القزويني تبين أنه لا يكون من عالم خيالي ،و إنما «يكون من العالم الحقيقي و هو البعيد عن إدراكنا وحواسنا ،فالمسألة عنده مسألة مسافة و ألفة و أنس و ليست مسألة خيال و واقع ،ذلك أنّ ما يصطلح علي تسميته بالعجائب ليس هي ألف يوم و يوم مثلا ،أي حكايات تقحمنا من أول وهلة في عالم الجن و السحر و المسخ و الطلاسم ،عالم يوازي عالمنا و لا يتداخل معه»[1].فقد ربط الحكايات التي نسخ عنها العجائب والغرائب من عالمنا العادي و ليس من عالم المخلوقات الغريبة عنا التي تحمل حكاياتها الغرابة المنشودة .لأن الحقيقة «لا تكمن في وجوده الفعلي بل في الاعتقاد بهذا الوجود»[2].

و لكثرة تضارب النقاد حول معنى الغريب و العجيب حاول سعيد يقطين في كتـابه «الكلام و الخبز» إلى تحديد نسبة تقبل الخبر أي الكلام مألوفا عند آخرين ؛وفي هذا الصـدد يقـول ؛إنه :[3]

- كلما كانت التجربة موازية للخبر كنا بصدد الأليف و اليومي الذي يتساوى في إدراكه و تمثله كل الناس، ويتم ذلك عن طريق الحواس الظاهرة.
- فإذا كان الخبر أكبر أو يساوي التجربة كنا أمام عوالم جديدة تتميز بغرابتها عما هو أليف و تنزاح عما هو مألوف ،هذا الانزياح هو الذي يجعلنا في منطقة التماس بين ما و هو واقعي ،و ما هو تخييلي ،و يتم إدراك ذلك عن طريق الحواس الباطنة .
- أما إذا كانت التجربة أكبر من الخبر فإننا نكون بصدد خلق عوالم جديدة تقوم على التخيل و ذلك من خلال ابتداع أشياء لا حقيقية لها لخروجها عن العوالم الحقيقية الواقعية ويتم ذلك عن طريق الحواس المتصرفة.

فمهما تضاربت المصطلحات و الآراء حول الغريب و العجيب يبقيان كلاهما مادة تصب في قالب العجائبية فعلاقة العجيب بالغريب كعلاقة الفعل بالفعل المضاد لا

[1] ابن عبد العالي نعيمة ،واقع عجيب غريب ،[2004/10/15]،متاح على الشبكة www.Arabicstory.net.
[2] ابن عبد العالي نعيمة،المرجع نفسه.
[3] سعيد يقطين،الكلام والخبز-مقدمة في السرد العربي-،المركز الثقافي العربي،بيروت ،الدار البيضاء،ط1،1997،ص ص199،200.

ينفصلان و لا يلتقيان و إنما يتلاحمان في صورة تكمن قوتها في الدهشة و الخيال اللامتوقع من المتلقي حين سماعها أو رؤيتها ،و هنا تكمن جمالية العجائبية.

5-العجائبية في الرحلات:

منذ القدم و نحن نسمع لحكايات الأجداد و الجدات، تستهوينا و تغرس اليقين فينا أفكارها و أهدافها من دون أن نحاول معرفة حقيقتها أو تفسيرا علميا لها.كانت جلها أسطورية خارقة للعادة تلهمنا و تشد أبصارنا إلى أحداثها لدرجة أننا لا نكتفي بسماعها لمرة أو مرتين.فهل ذلك الانبهار نابع من جهلنا و صغر عقولنا؟أم لأن مادتها و تمفصلاتها و نسبة العجائبية فيها هي سبب هذا الشذوذ لها؟

إن الخيال الخصب الذي تميز به الإنسان منذ القدم نتيجة لكل الأمور التي كانت أكبر من التفكير البشري، فكل ما كان خارجا عن مداركه ترجمه بالقوة الغيبية و جسده الباحثون والدارسون بمختلف تخصصاتهم بالعجائبي.

يلعب **العجائبي** الدور الأساسي في بناء كل قصة تسرد بمادتيه العجيب والغريب،فكل قصة امتزجت بالخطاب العجائبي إلا وكان الهدف الأول فيها إبهار السامع رسم صورة عجيبة في ذهنه فمهما حاول الرواة لأجل ذلك فلن يكونوا كالرحالة الذين صالوا و جالوا البلدان المختلفة و أصغوا إلى الحكايات الغريبة ،وصادفوها كذلك إضافة إلى ذلك الخيال الخصب الذي يملكونه فهم أحيانا يتحايلون بلباقة على ما سمعوا و رأوا فيغيرون ويبدلون بعض المشاهدات ليثروا نصوصهم بالأفكار الخارجة عن طبيعة العقل لإضفاء لمسة الغرائبي و العوالم المسحورة ،و من هنا نجد عاملين أساسيين ساهما بشكل كبير في إثراء العجـائبي عند الرحالة هما الخيـال الخصب و طبيعة الحكي ؛فالخيال وليد اللحظة التي يرى فيها المرتحل أما لم يكن ليدركه من عالم واحد فيحول اللقطة التي يلمحها عند حدث معين إلى فكرة لا تبتعد عن الواقع كثيرا و لا تكون غرائبية ككل مما يزيد من إبهار السامع لها فيظنها أنها وقعت بالفعل في أماكن يعرفها عن طريق وصف الرحالة الدقيق لها فهذا الوصف يضعه أمام صورة متكاملة لعالم حقيقي يزينه الفعل الغرائبي فيها فيبقى مشدود الفكر والعقل حول تكملة تلك الصورة إلى أن يصل إلى صورة عامة لها ،و بهذا فالمتلقي ينتقل من دون تغييره لمكانه إلى عدة أمكنة بفضل الخيال المطبق على ما يسمعه من الرحالة.

أما طبيعة الحكي ،فهي الألوان التي تزين اللوحة المتخيلة حيث يعمل الحكي الجيد والمتتالي للأحداث بخلق انسجام بين الفعل و صاحبه و بين الفكرة الحقيقية والمتخيلة فتنشأ بذلك القصة و بما أن الرحالة قد وجدوا في البلدان المختلفة خلاف عما هو موجود في بلدانهم فقد ساعدهم الأمر على خلق نصوص رحلية تحمل من ثنائية الواقع و الخيال مادة خطابية ساهمت في تصديق السامع لأقاصيص تصدقها مخيلته حتى و إن تنافت مع منطقه و تفكيره .

إن الرحلات المختلفة و الوقائع اللامنطقية التي حدثت في مختلف المجتمعات جعلت من النصوص العجائبية أكثر ثراء عند عديد الرحالة ،مثال ذلك ما جاء في رحلة الغرناطي في كتابه «تحفة الألباب و نخبة الأعجاب»،حيث يقول: «و لقد رأيت في بلغار سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل العاديين رجلا طويلا كان طوله أكثر من سبعة أذرع ،كان يسمى "دنقى"،كان يأخذ الفرس تحت إبطه كما يأخذ الإنسان الجمل الصغير ،و كان من قوته يكسّر ساق الفرس بيده و يقطع جسده و أعصابه كما يقطع باقة البقل»[1].

أما القزويني فقد نقل لنا حكاية حول شيخ البحر الذي رآه فيقول : «أن في بحر الشام يطلع من الماء إلى الحاضر إنسان ،و هو ذو لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر و يبقى أياما ثم ينزل فإذا رآه الناس يستبشرون بالخصب»[2].

فهذه الحكايات العجائبية قد ظهرت للوهلة الأولى على أنها حقيقية لكون الرحالة أنفسهم قد حملوا حقائقها إلا أن حدة العجائبية فيها ترجع بالدرجة الأولى إلى الإيمان بحقيقتها من جهة و قوة تأثيرها في النفوس ومتلقيها من جهة أخرى.

فالخبر العجائبي الذي يحمله لنا الرحالة يمكن تصديقه كما يمكن تكذيبه لفرط العجائبية فيه فهو في الأخير أفكار راسخة في عقول الناس بنفس حدة درجة وقوعه على النفس ،من ذلك ما تناقله الرحالة حول بعض المظاهر السحرية في الهند بسبب التفنن في فعلها إذ يقول: «رحلنا من مدينة "كاليور" إلى مدينـــة برون ،مدينة صغيرة للمسلمين بين بلاد الكفار

[1] أبو حامد الغرناطي ،تحفة الألباب و نخبة الأعجاب ،تحقيق إسماعيل العربي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989،ص138.

[2] القزويني،عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات،ص130.

أميرها محمد بيرم التركي الأصـــل و السباع بها كثيرة .و ذكر لي أهلها أن السبع كان يدخل إليها ليلا و أبوابها مغلقة فيفترس الناس حتى يقتل من أهلها كثيرا ،و كانوا يعجبون في شأن دخوله.

و أخبرني محمد التوفيري من أهلها ،و كان جارا لي بها أنه دخل دياره ليلا ،و افترس صبيا من فوق السرير،و أخبرني غيره أنه كان مع جماعة في دار عرس ،فخرج أحدهم لحاجة فافترسه ،فخرج أصحابه في طلبه فوجدوه مطروحا بالسوق ،و قد شرب دمه و لم يأكل لحمه ،و ذكروا أنه كذلك فعله بالناس»[1].ويواصل كلامه فيقول: «أخبرني بعض الناس أن الذي يفعل ذلك ليس بسبع ،و إنما هو آدمي من السحرة المعروفين بالجو كية ،يتصور في صورة سبع،و لما أخبرت بذلك أنكرته،و أخبروني به الجماعة»[2].

فالرحالة وإن لم يصدقوا حتى ما تراه أعينهم فمن واجبهم نقل الأحداث كما هي خاصة و أن حقيقتها نقلت عن الجماعة لا عن الفرد.فهمهما كانت الأخبـار و الوقائع العجائبية بعيدة عن المنطق و المنظور الديني على حد سواء و هي حقائق نابعة من العقـل البشري الذي نسجتها له الظروف والوعي الأسطوري ،و كذا نابعة من الواقع الملموس لهذه الأحداث المختلفة .

فالفضاء الذي يهيئ الظروف لانتشار مثل هذه الوقائع و الأحداث يسميه عبد الملك مرتاض أنه «عالم دون حدود و بحر دون ساحل و ليل دون صبـاح و نهار دون مساء،إنه امتداد مستمر مفتوح على جميع المتجهات و في كل الآفاق»[3].

فالقصص العجائبي لا تخلق من العدم و إنما مع مرور الأزمنة إذ تبدأ الفكرة كحل لظاهرة غريبة ثم تتبلور لتصبح اعتقادا يرسخ شيئا فشيئا في أذهان الجماعة بعدها تصبح أمرا شائعا مسلما به يخلق لنفسه الحدث و الشخصيـات و الفضاء.و لا يمكن حينها التغلب عليه إلا بوجود فعل مضاد له يفوقه فإما أن يمحوه من الأذهان و يصبح أمرا حتميا.

[1]ابن بطوطة عبد الله اللواتي،رحلة ابن بطوطة ،دار صادر،بيروت،دت،ص542-543.
[2]ابن بطوطة،المرجع نفسه،ص543.
[3]عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية يحث في تقنيات السرد ،عالم المعرفة ،الكويت،1988،دت،ص157.

فالعجائبية في الرحلات لم تكن مادة حديثة في كتب الرحالة و ما نقلوه عن أفواه من ارتحلوا إليهم بل هي أمور سائدة في مجتمعات مغايرة و أسلوب روايتها الذي حملها في قالب لا يقاوم.

- **خاتمة:**

مهما تضاربت الآراء حول مدى صحة بعض الأمور العجائبية فهذا الأخير يبقى ملاذا لمتلقيه من جهة ،أما الأولى فهو موضوع دراسة تعزى إلى عقول استطاعت بناءه وتأسيسه في مجتمعات صارت تؤمن به لدرجة أن تتقوى به وتعتز بوجوده و كأنه اللبنة التي بنت مقوماته الأساسية.

و الثانية أنه المرفأ الوحيد الذي تهدأ فيه أمواج التعب من الديناميكية و التفكير الآلي للإنسان ، ففي العجائبي سحر القمر في الليلة البدراء على نفوس متلقيه حتى صار بعض الأدبـاء لا يتخلون عن الأفكار الأسطورية في كتاباتهم نثرية كانت أم شعرية .وما يصقل كل تلك الأعمال الإبداعية يضعها في قالبها المنوط بها هي الصياغة الأدبية التي تساهم بالقدر الكبير في ثراء الأسلوب الذي تكتب به.

الفصل الثاني

الوزان وكتابه وصف أفريقيا

أولا:حياة الوزان.

1:نبدة عن حياته.

أ/اختلافات حول تسمية الوزان.

ب/ترجمة ليون الإفريقي من مقدمة كتابه"وصف إفريقيا".

-الحياة الإسلامية.

-الحياة الأوروبية.

جـ/وفاته.

2-مؤلفات الحسن الوزان.

ثانيا:كتاب "وصف إفريقيا".

1-أقسام الكتاب و مضامينه.

2-مصادر الكتاب و أسباب وضعه.

3-مزايا الكتاب و مآخذه.

4-مغالطات الترجمة و المترجمين.

5-مصادر ترجمة الوزان.

6-شخصيات نهل منها الوزان.

تمهيد:

تعد الرحلـــة أو الرحـــلات بصفة عامة أهم ركيزة مساعدة على اكتشاف الآخـــر، فالرحلة باختلاف أغراضها واتجاهاتها كانت ولا تزال حبر الاكتشاف والمعرفة، فمنذ القدم دأب الإنسان على محاولة معرفة كل ما حوله لإشباع فضوله الذاتي و العلمي نحو الأراضي لما فيها من اختلاف عن محيطه من فكر وعادات وطبائع عيش وغيرها.وبهذا برز في العامل ككل شخصيات سميت بالرحالة لكثرة انتقالها من قطر إلى قطر ولم يكن ترحالها عبثا فبفضلهم أدركنا حياة الآخر بأبسط وأدق تفاصيلها لأنهم لم يحملوا لنا الحقائق على ألسنة غيرهم بل عاشروا الأقوام بطريقة مباشرة فكانوا خير رسول وأشرف أمين نقل لنا طبائع وحياة الآخرين ،لقول أبو الحسن المسعودي: «ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نُمى إليه من أخبار من إقليمه كمن قسّم عمره على قطر الأقطار و وزع بين أيامه تقاذف الأسفار ،و استخرج كل دقيق من معدنه و إثارة كل نفيس من مكمنه»

فالراحـــة النفسية و الجديد الذي يجده الرحالة كلما انتقلوا من مكـان إلى آخر أنساهم مشقة السفر لدرجة أنهم شغفوا بها كثيرا ،و من هؤلاء الرحالـة وهم كثر نذكر :الحسـن بن الوزان الذي ارتأيت أن يكون العمدة في عملي هذا، بالإضافة إلى الرحالة الذين ذاع صيتهم في أنحاء العالم كـابن بطوطة و ابن فضلان و الغرناطي و ابن جبير... وغيرهم كثير.

فمهما وضعت نظريات و دراسات حول تحليل الفروق بين الأجناس والمجتمعات بمختلف جوانبها سواء من ناحية التقاليد أو الاعتقاد أو العرف. فلا يمكننا ضبط الصورة كما يفعل الرحالة ،فالرحالة ليسوا في الأصل أناسا عاديين وإنما هم شخصيات موسوعيو الثقافة ،أدباء، مفكرون،مثقفون لدرجة تقبلهم لكل اختلاف في ذوات غيرهم ،فلا يتعصبون في بلد التفتح ،و لا يتجاهلون القيم باختلافها في البلد المحافظ ،لقول محمد المويلحي: «لا يتحتم أن ما يكون ذا نفع عند الغربيين يكون له نفع عند الشرقيين لاختلاف ذلك كله فيهم وتفاوته بينهم ،و الشواهد كثيرة جمة على أن ما يكون في باريس

حسنا يكون في برلين قبيحا ،و أن ما يكون في لوندرة «لندن» حميدا يكون في الخرطوم دميما ،وما يكون في رومية حقا يكون في مكة باطلا ،و ما يكون عند الغربيين جدا يكون عند الشرقيين هزلا».فالرحالة لم يكونوا ليغيروا المجتمعات ويبدلوا قبيحها بجيدها وإنما هم كالآلة الفوتوغرافية ينقلون لنا صورة الآخر بكل ما تحمله من محاسن وعيوب،والأمر الذي ساعدهم على ذلك هو قدرة تأملهم لكل ما يُحاطون به من اختلاف مهما كان ،فهم أينما حلوا تجسدوا بطبائع الأهل الذين يُستضافوا عندهم ،ففي كل شبر يطأ الرحالة قدمهم فيه يلبسون شخصية القوم الذين يحلون به،و هذا ما يؤكده قول ت،س،إليوت: «ارتحلوا ...انطلقوا أيها الرحالة، فأنتم لستم نفس الأشخاص عند بدء الرحلة».

إن الرحلة و بكل ما تحمله من فوائد نجدها تفتح المجال لنا لمعرفة ثقافات الغير الإنسانية و معرفة أحوال المجتمعات ،فهي أكثر المدارس تثقيفا للإنسان و تعليما له،كونها الوحيدة التي تفتح مجال التعرف المباشر و اللامشروط للأفراد و كل ما يتعلق بهم من أصغر حيثياته إلى أكبرها،فالرحلة و إن تنوعت و اختلفت دوافعها تبقى هي الوحيدة التي يمكنها أن تحمل لن الحقائق عن حياة الناس اليومية،كما أنها تجربة تقربك من أناس لم تعرفهم قط و تعايش أقواما لو لا ارتحالك إليهم لما أدركتهم ،كما أن هذا الانتقال و الارتحال هو خير شاف لروتين النفس الذي يقتل الإبداع والتغيير،لقول الإمام الشافعي:

سَـــافِرْ تَجِدْ عِوَضًـا عَمَنْ تُفَارِقُهُ وَانْصِبْ فَإِنَّ لَذِيذَ العَيْشِ فِي النَّصْبِ.

إِنِّـــــي رَأَيْتُ وُقُوفَ المَاءِ يُفْسِدُهُ إِنْ سَالَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِــبِ.

وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ عَلَى الفُلْكِ دَائِمَةٌ لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عَجَمٍ وَ مِنْ عَـــرَبِ.

فمهما اختلفت أسباب الرحلة و تباينت تبقى وحدها المنظار الكاشف لحقائق المجتمعات و تفاصيل عيشها الدقيقة، فالرحلة هي الفعل الذي يمسح أذهاننا غبن الجهل وخوف التمازج فبفضلها يسقط حاجز التباعد والعداء بين المجتمعات المختلفة.

أولا :حياة الوزان:

1-نبذة عن حياته:

أ/اختلافات حول تسمية الوزان:

جاء في رواية «أمين معلوف» التي تحمل عنوان «ليون الأفريقي» متحدثا بلسانه عن أصل تسميته بالوزان إلى أن : «أبي ورث عن جدي منصبا هاما في البلدية يقضي بوزن الحبوب و التأكد من سلامة الممارسات التجارية و هذا ما أضفى على أفراد عائلتي لقب «الوزَّان « الذي ما زلت أحمله ،و لا يعرف أحد في المغرب أنني أدعى اليوم ليون أو يوحنا-ليون دومديتشي ،و لم يلقّبني أحد بالإفريقـي ؛فهناك كنت الحسن بن محمد الوزّان ،و كان يضاف في الوثائق الرسمية «الزيّاني» نسبة إلى قبيلتي الأصلية و»الغرناطي» ،و عندما كنت أبتعد عن «فاس» كانوا يقولون «الفاسي» نسبة إلى أول بلد أقمت فيه بعد نزوحي عن بلدي ،و لم يكن موطني الأخير.»[1].

أما اسمه الذي عرف به و به اشتهر فهـو «ليون الإفريقي» Léon l'Africain إلا أننا نجده ختم كتابه القاموس الطبي بهذه الكلمة: «فرغ من نسخ هذا الكتاب العبد الفقير إلى الله مؤلفه يوحنا الأسد الغرناطي المدعو قبل الحسن الوزان الفاسي في آخر يناير عام أربعة و عشرين لتاريخ المسيحيين الموافق لعام ثلاثين وتسعمائة لتاريخ المسلمين وذلك بمدينة بولونيا من بلاد إيطاليا برسم المعلم الحكيم الطبيب الماهر يعقوب بن شمعون الوفي الإسرائيلي»،فكانت هذه الكلمات يكتبها الكثير ممن عاشوا مرغمين في البلدان الغريبة عنهم دينا و ثقافة وفكرا ،فهذه العبارات رغم قلتها واختصارها تبقى الوحيدة التي تكفل للمغتربين أمثال الحسن الوزان من حفظ اسمه الوزان

[1] أمين معلوف، المرجع السابق،ص50.

و اسم والده و اسمه الحادث وبلده الأصلي و محل إقامته ساعة الكتابة وتاريخ وجوده هناك و تمسكه بعوائد قومه و منها دينهم .

ب/ترجمة ليون الإفريقي من مقدمة كتابه «وصف إفريقيا»:

تباينت الآراء بين المؤرخين حول أصل ونشأة وعقيدة الحسن بن الوزان المعروف بليون الأفريقي، فمن الباحثين من يرى أنه إسلامي ومنهم من ينفي ذلك ويقول إنه مسيحي لمراحل عاشها في حياته مع المسيحيين.

فقد زاد بعض من ترجموه و هو كازيري casiri بعد ذكره اسمه أنه من عائلة الزيادي وزاد له جان ألبير ويدمانسطر J .A.Widmanstard بعد «ليون لفريكان» لفظة «إليبري» ولعله يريد بذلك أبا علي ،أما العائلة الوزانية بهذا اللفظ فقط فلم يعثر على نوعها إلا على بقية من نساء وصبيان لا يعرفون لأصلهم أصلا وإنما يعرفون أن عائلاتهم طرأت على فاس وكانت وافرة العدد وهي الآن في الاضمحلال.

❖ الحياة الإسلامية:

الحسن بن الوزان فاسي شخصية عربية إسلامية فذة ولد بمدينة غرناطة قبيل سقوطها على يد الإسبانيين ،ويختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته،فيجعلها بعضهم عام901هـ/1495م وبعضهم عام 906هـ/1500م.أخذا من تاريخيين ورد في كتاب «وصف أفريقيا» استطرد المؤلف بعدهما ذكر سنة عن طريق الربط والمقارنة،ولا يستقيم كلا التقريرين عادة لأنه يلزم منها أن الحسن الوزان دخل الحياة العامة عدلا و سفيرا في سن الثانية عشرة أو الرابعة عشرة ،لذلك نرجح ما ذهب إليه غير واحد من أنّ الوزان ولد حوالي عام 888هـ/1483م أي قبل سقوط غرناطة بنحو عشر سنوات.

ينتسب الحسن بن محمد الوزان إلى قبيلة بني زيات الزناتية الواقع موطنها في أقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف المغربيـــة،بين ســـاحل البحر المتوسط و مجرى وادي لاو القريب مـــن مدينتي شفشـاون و تطوان،و عاشت أسرته حقبة من الزمن في الفردوس المفقود ،انتقل مع أسرته صغيرا إلى فاس حيث درس على يد أعلام

القرويين الكثيرين و على رأسهم آنذاك الإمام محمد بن غازي المكناسي الذي يفترض أن الوزان قرأ «الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد» وهو كتاب من الكتب التي اشتملت عليهـا فهرسه المعنون بـ «التعلـــل برسوم الإسناد بعد انتقال أهـــل المنـــزل والناد» وهو فهرس كان يجيز به ابن غازي تلامذته به،فهو يحتوي أيضا على علـــوم اللغة وآدابها والعقائد والفقه والتصوف والتفسير والقـــراءات والحديث والسير والحساب والفلك والمنطق وما إلى ذلك من العلوم المعروفة عند المسلمين ،ويؤكد هذا الافتراض ما نقف عليه استطراد في كتاب «وصف إفريقيا» ،إذ نجد المؤلف يستهل حياته العلمية بالانتصاب للشهادة مع عدول فارس الرسميين ،ثم نجده يجالس الفقهاء والقضاة في المدن والقرى التي يزورها خلال رحلاته العديدة و يناظرهم و يناقشهم في نوازل فقهية وفتاوى دقيقة،وهو إلى ذلك كاتب شاعر يحبر المسائل وينظم القصائد فيكون محط إعجاب الرؤساء وينال من عطاياهم ،وهو أيضا حيسوبي ماهر يستخلص واجبات بيت المال من القبائل.هذا النبوغ المبكر للحسن الوزان لفت إليه نظر سلطان فاس محمد الوطاسي المعروف «بالبرتغالي» فقربه إليه و نظمه إلى سلك رجال بلاطه وأسند إليه – رغم حداثة سنه– مهام سياسية خطيرة في ظرف كان المغرب خلاله يشكو علة التقسيم،بالإضافة إلى النشاط الدبلوماسي والتجاري لأسرته التي دفعته إلى القيام برحلات عديدة داخل المغرب و خارجه.

❖ الحياة الأوروبية:

عند انتقال الحسن الوزان من تونس إلى المغرب عن طريق البحر عام «926هـ/1520م» وقع رحّالتنا في أيدي القراصنة الإيطاليين فأسروه بالقرب من جزيرة جربة و أخذوه إلى نابولي ثم قدموه إلى البابا في روما.

من المعروف أن البابا ليون العاشر «Léon X ,Jean de Médicis» من باباوات عصر النهضة الذين عملوا على إحياء العلوم و الآداب و الفنون ،لذلك سُرَّ بهذا العالم العربي الشاب الذي قُدم إليه و سرعان ما وثقت الصلة بينهما كصلة قريب بقريب لا أسير بأسير،فذكاء الحسن الوزان ساعده كثيرا على التأقلم بسرعة مع البيئة المسيحية

فهو موريسكي فتح عيناه في غرناطة التي كانت اللغة القشتالية الوثيقة الصلة باللاتينية منتشرة فيها ،والكنائس بأساقفتها وطقوسها منبثّة في جوانبها.

و رغم إدراكه أنه لا يستطيع العيش حياة إسلامية في قلب المسيحية عمد إلى التظاهر بأنه مسيحي الديانة مستأنسا بقوله تعالـــى:

{مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ}

[سورة النحل 106].

فحمل بذلك اسم مالكه و حاميه البابا فصار يدعى [J , Léon] أو يوحنا الأسد الغرناطي أو الإفريقي.

بدأت حياة ليون الأفريقي الثقافية في إيطاليا بتدريس اللغة العربية للخاصة من رجال الكنيسة في روما ونابولي و لعامة الطلبة في مدرسة بولونيا الشهيرة في عصر النهضة الأوروبية كما يتألف فيها كتب من مؤلفات باللغة الإيطالية أو اللاتينية في التاريخ والجغرافيا و اللغة.

انتقل الحسن الوزان بعد موت البابا ليون العاشر سنة 1521م ليعيش في كنف الكاردينال جيل دي فيطرب Gilles de Viterbe فكان يعلمه اللغة العربية ،وكان هذا الكاردينال معجبا به كثيرا وأمل أن ينشر اللغة العربية في إيطاليا ليتمكنوا من دراسة العلوم والآداب العربية بلغتها الحقيقية خاصة كتب العرب في اللغة والطب والفلسفة والفلك و الكيمياء و غيرها كونهم كانوا في عصر النهضة .و قد استدعى الكاردينال «جيل» في آخر حياته أحد أصدقائه من حاشية الإمبراطور «شار لكان» في بولونيا.وهو «جان ألبير ويدمانسطار J A Widmanstard « استدعاه إلى روما ليرى يوحنا الأسد «ليون الإفريقي» بهدف أن يوكله أمر هذا الأسير العربي العالم إلى النبيل المسيحي ليكلفه إذا مات كما فعل هو بمؤلفنا بعد موت البابا ليون العاشر ،فقبل أن يصل ويدمانسطار إلى روما اختفى منها الحسن الوزان في ظروف غامضة حوالي عام

957هـ/1550م و التحق بأقرب نقطة إليه في بلاد الإسلام و هي تونس ،حيث عاد إلى حياته الإسلامية الأولى.

و قد كتب «ديمستار « في مقدمة الإنجيل الذي طبعه سنة 1555م أنه لبى دعوة الكاردينال «جيل» ،و زار روما وأفريقيا ليتصل بيوحنا الأسد الذي كان قد ذهب إلى تونس ورجع إلى الديانة الإسلامية ،لكن محاولة الاتصال هذه لم تكن ذات جدوى[1].

جـ/وفاته:

بعد اختفاء الحسن الوزان من روما عاد إلى تونس ،فلا ندري إن بقي في تونس أم عاد إلى أهله في فاس ،فحتى تاريخ و مكان وفاته لا يمكن ضبطهم فقط يمكننا القول إنه مات بعد عام 957هـ/1550م.

و بهذا انطفأت شعلة من شعلات الفكر و العلم من عالمنا العربي ،و المؤسف في الأمر أن الحسن بن محمد الوزان الفاسي الغرناطي لم يلق الاهتمام الكبير من طرف العرب المسلمين ،فقد أغفلوا كتابه القيم في زوايا النسيان على عكس المغربيين المسيحيين الذين قدروه حق قدره و استفادوا من تأليفه الجغرافي في عصر النهضة بل واعتمدوا على مؤلفاته حول إفريقيا كمصدر أساسي طوال العصر الحديث.

[1] ينظر :المقدمة،الحسن بن محمد الوزان الفاسي،وصف إفريقيا،دار الغرب الإسلامي ،ج1 ط،1983 ،2م، بيروت ، لبنان،ص14.

2-مؤلفات الحسن الوزان:

إنّ الثقافة و التشبع الفكري و الديني و الاحتكاك بالآخر بفضل الرحلات ساعدت الوزان على الإلمام بكثير العلوم والفنون مما منحت له القدرة على تأليف كتب كثيرة مست مختلف العلوم، منها ما بقيت كاملة بارزة للعيان،و منها من ضاعت بسبب كثرة تنقلاته لأنها هناك كتب ظهرت في بلاد الإسلام و بعضها في إيطاليا. ونذكر منها:

1. معجم عربي-عبري لاتيني ألفه الوزان للطبيب اليهودي يعقوب بن شمعون.
2. كتاب في التراجم ،باللاتينية.
3. الجغرافية العامة ،باللغة العربية.
4. مختصر تاريخ الإسلام.
5. أشعار الأضرحة ،»وهي مجموع شعري».
6. كتاب في الفقه المالكي.
7. تاريخ إفريقية.

***بعض مؤلفاته التي أحال إليها في كتبه و لكنها ضاعت:**

1. رسالة باللاتينية:تراجم الأطباء و الفلاسفة العرب، طبعت سنة 1664.
2. كتابه في:العقائد و الفقه الإسلامي، أحال إليه في كتابه عن إفريقية.
3. كتاب أو رسالة له باسم:الأعياد الإسلامي و آخر:كتابات في النحو.

***بعض المؤلفين الذين اجتهدوا في حياته:**

1. كتاب حياة الوزان الفاسي و آثاره،جمعه الشيخ محمد المهدي الحجوي يحمل أخبار الوزان.

2. معجم عربي اسبانيولي «مخطوط رقم598»من تأليف الوزان نفسه فالأستاذ سعيد الأفغاني يقول أنه رأى هذا الكتاب في رحلته سنة 1956م و سماه «vocabulaire arab-espagnol par Jean l» الذي قامت بجمعه مكتبة الأسكوريال.

3. كتاب حياة الوزان ألفه محمد المهدي الحجوي.

وفي الأخير أذكر كتابه الذي أحدث ضجة كبيرة في العالم العربي والغربي هو كتاب «**وصف إفريقيا**» الذي لازال يعد من أهم و أكبر مؤلفات الرحالة الحسن الوزان والذي أعده عمدة عملي.

وبالرغم من معاشرة الوزان للمسيحيين والعيش بينهم إلا أنه لم يتخل عن أصوله ولم يغيرها حيث إنه كان يكتبه في مؤلفاته كاملا»فهو حينما يوقع في نابولي أو روما أحد كتبه يقول :»العبد الفقير إلى الله مؤلفه يوحنا الأسد الغرناطي المدعو قبل الحسن بن محمد الوزان الفاسي»«[1]،فقد تمسك باسمه العربي رغم مرور سنين عديدة على أَسرِه.

[1]الحسن الوزان،المصدر السابق، ص11.

ثانيا:كتاب وصف إفريقيا:

يعتبر كتاب الوزان «وصف إفريقيا» من الكتب القيمة التي لا يوجد لها مثيل وهذا لطبيعة المنهج المميز الذي اتبعه و كذا الدقة اللامتناهية في وصف كلما رأته عينان وكذا دقة ملاحظاته أحوال المجتمعات و طبائعهم وكذا رسمه للمسالك والخرائط الجغرافية و تعداده لـ «كوانين» ،فهذه الدقة الفريدة من نوعها جعلت الكتاب محط أنظار الغرب قبل العرب كون الوزان قد عاش الكثير من سنوات عمره لديهم .فبالرغم من أن بعض مؤلفاته قد مسـها التغيير بسبب ضياع بعضها و تناثر البعض الآخر بيـن الأرض العربيـة و الأوروبية مؤلفه «وصف إفريقية» لم يمسه أي تغيير فقد ألفه في البداية بالعربية وقام بترجمة الجزء الأول منه إلى الإيطالية أيام أسره و عن هذه الترجمة نقل إلى عدة لغات و طبع عدة طبعات ،و الأرجح أن النص المكتوب باللغة العربية إما ضاع كاملا أو لا يزال مخبأ بخزائن أوروبا .وقد جعل له مقدمة في جغرافية إفريقيا العمومية كانت قيمتها بالنسبة للجغرافية كقيمة مقدمة ابن خلدون للتاريخ ككل.فقد اتخذها أرباب النهضة الحديثة أنموذجا لأبحاثهم الجغرافية كما أن خزانة الأسكريال استفادت من قاموسه الطبي الذي فسر فيه ألفاظه بالعربية واللاتينية و العبرانية.و فيما سيأتي تبيان لأقسام الكتاب وكل ما يتعلق بمادته.

1-أقسام الكتاب :

قسم الوزان كتابه بحسب التصنيف الجغرافي والسياسي إلى تسعة أقسام ،وقد أسهب في الحديث عند كل إقليم حيث دقق النظر في عادات المجتمع وتقاليده ومحاسن أهل البلدان وعيوبهم ،وغريب ما شاهد عندهم وطريقة عيشهم ،كما نقل لنا المسافات بين كل قطر وآخر وكذا المكاييل والأوزان ،كما أنه لم يغفل الحيوانات والنباتات وأصنفت البهارات وحلي الزينة وموادها ،فالحسن الوزان كان شديد الانتباه دقيق الملاحظة لكل شاردة و واردة تمر أمامه .

❖ القسم الأول:

وفيه اهتم الوزان بكل ما يتعلق بجغرافية إفريقيا العامة من مناخ و خصائص الشعوب و أخلاقها و تعمد إلى التجزئة العمودية باعتبار المميزات النباتية والاقتصادية إلى أربعة أجزاء:

- بلاد البربر شمال سلسلة جبال الأطلس الممتدة من تخوم مصر شرقا إلى المحيط الأطلنطيكي غربا.
- بلاد الجريد جنوبي الأطلس التي كان الرومان يطلقون عليها اسم نوميديا.
- الصحراء الكبرى المترامية بعد بلاد الجريد.
- بلاد السودان الواقعة وراء الصحراء.

ثم يتعرض لجغرافية إفريقيا على الصعيد البشري ،فيتكلم عن مدلول كلمة البربر وأصل الأفارقة ،ثم يتعرض لمناطق انتشار العرب و على رأسهم بنو هلال ،و يخصص قرابة عشرون صفحة للكلام عن سكان أفريقيا البيضاء ، ويفصّل بشكل كبير في مدن شمال إفريقيا حيث يتحدث عن أهل سوسة وأعمالهم التجارية .

❖ **القسم الثاني:**

وهو عبارة عن دراسة إقليمية يتناول فيها المواقد في بلاد مراكـش وبلاد سوس،ومنطقة دكالة وهسكورة وتادلة وما في هذه المناطق من جبال متمايزة وسكان ونباتات و مزروعات.

كما يتحدث عن عاصمة الشرق الجزائري قسنطينة واصفا موقعها الجغرافي الأخاذ، وعن الحروب التي قامت على أرضها و عن صراع أهلها المميتة لأجل الحفاظ عليها.

كما يدرج نماذج وصفية لبعض المدن التي تندرج لذات القسم :كإقليم مسراتة،ومدينة آية عياض ، سكان سكّيم ،و مدينة مراكش العظمى .

❖ **القسم الثالث:**

ويختص بمملكة فاس و يكاد هذا القسم يؤلف ثلث الكتاب تقريبا و لا تكون شاملة إذ قضى فيها شبابه و جاب أرجاءها متجولا بمهمات رسمية ،أو ربما للتجارة أو مجاهدا في جيش السلطان ضد البرتغاليين ،و يسرد لنا الوزان قصة بلدة «أنفا» والتي تعتبر النواة الأولى لمدينة الدار البيضاء الحالية ، ثم يعطينا فكرة عن عوامل نشوء الرباط قدم صور رائعة عن التقلبات التي اعتورت مدينة «سلا»، شقيقة الرباط وتوأمها بقوله: «ميناءها الجيد مهبط التجار المسيحيين،من مختلف الجنسيات من جنوبيين وبندقيين وانجليزيين وفلامنديين لأنه كان يستعمل كميناء لكل مملكة فاس ،وقد تعرضت هذه المدينة بهجوم أسطول ملك قشتالة عام 670هـ،فهرب السكان و دخلها النصارى غير أن مقامه بها لم يدم أكثر من عشرة أيام إذ هاجمهم بغتة يعقوب «بن عبد الحق»أول ملوك بني مرين ،و لم يكونوا متأهبين لذلك ولا ضانين أن الملك سيتخلى عن الحملة التي يخوضها آنذاك ضد تلمسان ،وبذلك تم استرداد المدينة وقتل كل من وجد بها من المسيحيين ،و لجا الباقون إلى سفنهم و فروا بها وهذا هو

السبب الذي جعل الملل يعقوب وجميع من أتى بعده من بني مرين يتمتعون بالحظوة عند سكان هذه المناطق»[1].

ويسترسل في كلامه عن فاس واهتمامات أهلها بزخرفة وتجميل بيوتهـم وحفظ القرآن.

❖ القسم الرابع:

وخصصه الوزان في كتابه لمملكة تلمسان التي تضم الشطر الغربي من الجمهورية الجزائرية الحالية، وهنا يشدد الكاتب ويلح على شدة النزاع بين الأعراب والسكان المستقرين، واضطراب الأحوال و سرعة خراب المدن واستغلال الإسبان للوضع واحتلالهم بعض مدن الساحل مثل وهران واستنجاد بعض الملوك المسلمين بـ»شرلكان» إمبراطور النمسا واسبانيا ،لدعم سلطاتهم المتزعزعة ،عادات الأفارقة القاطنين بصحراء ليبيا وطرق معيشتهم التي لا تحتمل وكذلك يوصف سياسات بعض القبائل اللامعقولة.

❖ القسم الخامس:

ويختص بمملكة بجاية و مملكة تونس إذ يقول عن بجاية أنها : «مدينة عتيقة بناها الرومان –على ما يراه بعضهم–في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط.تحيط بها أسوار عالية متينة ،و تناهز كوانينها ثمانية آلاف «...» ودورها كلها جميلة، و فيها جوامع كافية، ومدارس يكثر فيها الطلبة و أساتذة الفقه والعلوم، بالإضافة إلى زوايـــا المتصوفة وحمامـــات و فنادق و مارستانات، وكلها صروح مشيدة حسنة البناء»[2].

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق، ص208.

[2] المصدر نفسه،ص50.

❖ **القسم السادس:**

ويختص بالبحث عن نوميديا و هي منطقة نطاق الواحات الممتدة إلى الجنوب من سلسلة الأطلس الصحراوي في بلاد المغرب العربي ،ويتحدث فيه عن سكان درعة ،كما يصف لنا بإسهاب مدينة سجلماسة قبل خرابها نهائيا بعد أن كانت مدينة مزدهرة .

❖ **القسم السابع:**

ويخصصه لبلاد السودان الواقعة إلى الجنوب من الصحراء الكبـرى ويصف أوضاع سكان هذه البلاد وما هم عليه من أوضاع بدائية رآها بأم عينه ،أما مدينة تنبكتو فهي أرقى من جيرانها ،وهذا نابع من شخصية أهلها المرحة .

❖ **القسم الثامن:**

ويخصصه لدراسة جغرافية مصر و فيه يُهمل الحديث عن البقاع الواقعة إلى الشرق من ضفة النيل على اعتبار أنها ليست إفريقية، و يعطيها معلومات ضافية عن مصر التي يبدو أن إقامته فيها كانت طويلة إذ زارها أكثر من مرة.

ثم يسهب ويدقق في وصفه للمصريين ووصف طعامهم وكلما يتعلق بطبائع عيشهم،ويذكر أيضا مدينة رشيد التي يسمونها الإيطاليون روزيطو .

والأمر الذي تقشعر له الأبدان في مصر هو العقوبات التي تفرضها السلطات المصرية على الجناة خصوصا ما يصدر عن بلاط الملك : «فيشنق السارق،ومن قتل أحد غدرا تعرض للقصاص الآتي:يمسك أحد أعوان الجلاد من رجليه و آخر من رأسه و يتناول الجلاد سيفا ذا قبضتين ،يقطع به الجسد شطرين ،و يوضع الشطر الأعلى على كومة جير حام،و قد يستمر حيا هكذا عشرين دقيقة و هو يتكلم .و هذا شيء رهيب يفجع الناظر والسامع.أما القتلة و الثوار فتسلخ جلودهم وهم أحياء ثم تحشى بالنخالة بحيث تشبه الناس في المظهر ويضعونها على بعير يطوفون به المدينة كلها وهم يعلنون عن الجريمة التي ارتكبها الممثل به،وهذا أقصى عقاب رأيته في العالم ،لأن المحكوم عليه

يقاسي كثيرا من الآلام ،و يظل حيا إلى أن تصل سكين السالخ إلى الصرة فيموت حيّا ولا يقع هذا إلا بأمر خص من السلطة العليا»[1].

❖ القسم التاسع:

ويختتم مؤلفنا كتابه بقسم يعالج فيه أهم أنهار إفريقيا الشمالية العربية وأكثر النباتات و الحيوانات جدارة بالذكر مبتدءا من الغرب نحو الشرق ففي حديثه عن النباتات يبرز لنا دقة ملاحظاته ومعلوماته الطبية فهو مثلا يعرف نبات الترفاس فيقول: «إن الترفاس جدر نباتي أكثر مما هو ثمر.ويشبه الكمأة لكنه أضخم منها وذو قشرة بيضاء .ينبت في الرمل في الأماكن الحارة .ويُعرف وجوده بحدبات في الأرض مشققة شيئا ما .بعضه في حجم الجوز والبعض الآخر في حجم البرتقال .وهو ثمر منعش في نظر الأطباء الذين يدعونه كمئا.ينبت بكثرة في صحراء نوميديا .ويتلدد الأعراب بأكله كما لو كان سكرا.و الواقع أنه غذاء لطيف جدا إذا كان مشويا على الجمر ثم قُشر وطبخ في مرق دسم.يأكله الأعراب مطبوخا في الماء أو اللبن.ويوجد أيضا بكثرة في الرمل بضواحي مدينة سلا»[2].

بقدر ما يوجد الدواء يوجد أيضا الداء وتوجد نباتات سامة كنبات الدَّاد حيث يقول: «الدَّاد نبات جدره سام إلى درجة أن زنه درهم من الماء المقطر منه كاف لقتل رجل في ساعة .وهذا شيء معروف في إفريقيا كلها حتى عند النساء»[3] .

و الشيء الملفت للنظر والجدير بالذكر أن الوزان في كتابه وصف إفريقيا ،كان دقيق الملاحظة في كل ما يقع عليه ناظره ،وما لم يراه يأخده عن رواة ثقة حيث يقول: «وما لم أشاهده أخبرني به من يوثق به إخبارا صحيحا كاملا .ثم رَتّبت هذه المذكرات

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق، ص167.
[2] المصدر نفسه، ص282.
[3] المصدر نفسه، ص284.

بقدر استطاعتي ،وألفت منها في الأخير كتابا عندما كنت بروما في العام الميلادي 1526 في العاشر من مارس»[1].

[1]الحسن الوزان،المصدر السابق، ص284.

2-مصادر الكتاب وأسباب وضعه:

اعتمد الوزان في بناءه لهذا الكتاب على عاملين أساسيين وهما: ما علق بذهنه،وما وجده عند سابقيه.

الأول أن الوزان قد عمل في الإدارة في عهد الوطاسيين فلقد كانت له القدرة الكافية لتنقيح و ترتيب عمله بشكل ساعد اللاحقين ممن اطلعوا على عمله أن يدركوا التنظيم المحكم والملموس فيه وكذلك ساعد بشكل كبير المترجمين له لمعرفة كل ما يحتويه بشكل أدق .

فكثيرا ما أخد الوزان من ابن الرقيق القيرواني ،عبد الرحمن ابن خلدون وعشرات المؤلفين العرب كالبكري والشريف فضل الله العمري و أضرابهم ممن اهتموا بجغرافية إفريقيا على سبيل المقارنة والتأكد من المعلومات التي لديه لا على سبيل النقل منهم.

أما العامل **الثاني** و المتعلق بالمؤلف نفسه ،فالوزان عند كتابته لهذا العمل كان بعد مدة طويلة جدا فهو لم يكتب كل ما رآه في حينه ،فالجيد في الأمر أنه اعتمد على ما علق في ذهنه من قبل ولم يطلع أثناء كتابته على كتب تاريخ إفريقيا وجغرافيتها ،الأمر الذي يؤكد خلو هذا الكتاب من نقول حرفية عكس ما هو الشأن عند غيره من الجغرافيين العرب ،لهذا معظم مادة الكتابة من مشاهدات المؤلف وخبرته الشخصية.[1]

أما من أسباب وضع الوزان لهذا الكتاب فنلمس من النظرة الأولى أن الكتاب وضع كدليل سير لمن يريد معرفة إفريقيا ،فالوزان لم يضع هذا الكتاب هباء أو تسلية بما لاحظه أثناء سيرته الارتحالية ،وإنما كان هدفه هو رسم خريطة جديدة تساعد السائرين بعده و الحاذين حذوه إلى معرفة الطريق بنظرته هو وكذلك إدراك الجغرافيات والمعالم و الأفراد لكل بلد من البلدان التي زادها وعلى هذا القبيل كان لكتاب «وصف إفريقيا» للوزان الأهمية و الفضل الكبيرين التي دفعت بالأوروبيين إلى ترجمته إلى عدة لغات من لغات العالم.

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق، ص15.

فإذا اعتبرنا الوزان من الأدباء الجغرافيين فيمكننا القول إنه كان رحالة فحلا في نقله للمواضع التي مر بها، و إن كان هناك بعض المغالطات والأخطاء في تقديره المسافات إلا أن هذا لم ينقص من قيمة عمله بل دفعت بمن اهتم بهذه الدراسة إلى التدقيق فيها أكثر.

3-مزايا و مآخذ الكتاب:

«لكل شيء إذا ما تم نقصان» ،كذا الحال لكل عمل على وجه البسيطة فمهما تكثر مزايا عمل ما ،إلا وتكون بعض الهفوات والزلات ،إما من طرف صاحبه أو من طرف ناقليه وكذلك هو الحال بكتاب الوزان فرغم كثرة مزاياها إلا أن به هفوات لا يمكن التغاضي عنها.

*المزايا:

أما وأن الصيت الذي أذاع هذا العمل الضخم فيمكننا أن نعدها في نقاط أساسية ساهمت في انتشاره في العالم ككل ،وهي :

- تأليف الكتاب بلسان عربي وبفكر أوروبي وهذا يعود إلى أن الوزان لم يكتب مؤلفه وهو بشخصية عربية وإنما بعدما أُخد أسيرا إلى روما.
- تفكيره المأخوذ من الأنظمة الإدارية التي طبع فيه من بلاط الوطاسيين السعديين في تحديد عباراته عندما كتب عن القبائل المغربية «فأتى بإحصاءات شبه مدققة مبنية على عدد الكوانين في المدن والقرى ،وبالتقسيمات السياسية في مختلف الجهات»[1].
- اهتمامه بزيارة التجمعات السكنية المنحرفة عن الطرق الكبرى،فأغل في أصغر الأماكن لاستعمال النظرة التي يزورهـا ،حتى و إن عجز على الوصول إلى بعض المناطق النائية استنجد بأهلها أو ممن يعرفها ليتأكد من كل ما يقوم بنقله عندهم.
- ذكره مصادر روايته مفرقا بين ما رآه بنفسه أو ما حكي له وهذا يؤكد أمانته في رسم الوقائع و ترجمة الحوادث.

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق، ص18.

- حيادة المؤلف ونزاهته في نقل ما يراه دون تأثر بعاطفة قرابة أو دين أو وطن ،فنجده بذلك بمدح قوما تارة ويذم آخر تبعا لما شاهد وعرف «فالأرض هناك طيبة تنبث من كل زوج بهيج وأهلها أوفياء كرماء ،والنساء جميلات أنيقات عفيفات وهناك أرض مجدبة موحشة تكثر فيها البراغيث أو تفوح من بيوتها الروائح الكريهة،ويسكنها لصوص فتاكون أو أشقياء حفاة عراة ونساء قبيحات أو فاجرات»[1].

أما وإن كان للعمل هذا محاسن كثيرة فكلها تصب فيما يقدمه من مواد حول الكتاب ساهمت في زيارة أهميته وترجمته إلى لغات أخرى.

*المآخذ:

اشتمل الكتاب على هفوات كثيرة إلا أنها لم تصرف الباحثين عنه لدراسته وترجمته تمثلت فيما يلي:

- أخطاء جغرافية صارخة وتعود حسب ما فسره الوزان إلى»غيبة المصادر عنه وبعد عهده بالأماكن التي تحدث عنها على افتراض أنها لم تكن مسجلة في مذكرات ،وكذلك خطؤه في اتجاه مجرى نهر أم الربيع الذي ظنه يجري نحو الجنوب واعتقاده أن نهر سوس يصب عند رباط ماسة وخلطه في تقدير المسافات ببعض الأماكن ،بل تناقضه مع نفسه أحيانا في أرقام يكررها مختلفة كعدد الأميال الفاصلة بين مدن فاس والقصر الكبير وأصيلا والبصرة»[2].
- أما و أن الترجمة هي أكبر خائن للنص ،فقد عُدّت هي الأخرى من الهفوات والأخطاء التي نقل إليها الكتاب عديدة وبعيدة المعاني في كثير من المواضع لكن صاحب الكتاب برئ منها ،فنقل الحروف العربية إلى اللاتينية قد أدى إلى تحريف الكثير من الأعلام الجغرافية و التاريخية لكن هذا لم يضر كثيرا بالعمل

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق، ص19.

[2] المصدر نفسه، ص19

لأن «ماسينيون لوي»تتبع العملية و وجدها سليمة ،عدا التواريخ الهجرية المذكورة في الأقسام المغربية المهمة في الكتاب»فوجدها سبعة وستين»67»تاريخا ،اثنين وخمسين «52» منها صحيحة بالمقارنة مع مقابلها من التاريخ الميلادي عند المؤرخين البرتغاليين المعاصرين له،وستة»6» تواريخ تقريبية،وتسعة»9» مغلوطة إذا اعتبرنا تواريخ البرتغاليين صحيحة سليمة ،واشتبهت على الوزان كذلك أحداث تاريخية تعرض لها ،فحرف مثلا أخبار البرغواطيين و خلط أمر المتنبئين صالح بن طريف البرغواطي وحاميم الغماري على بعد المسافة الفاصلة بينهما زمانا ومكانا .فالأول تمرد بتامسنا وسط المغرب في القرن الثاني للهجرة ،و الثاني بأقصى الشمال في القرن الرابع لهجرة،وتاريخها مفصل عند ابن خلدون في كتاب العبر الذي قرأه الوزان ،و خانته ذاكرته»[1].

- عمد ناشر كتاب «وصف إفريقيا» «راميزيو» في إصلاح عديد الأعلام العربية إلا أنه للأسف أخطأ في قراءة كثير منها فحرفها و أفسدها ،و لهذا السبب «بقيت عشرات الأعلام مشوشة مجهولة وأمكن التعرف على أخرى بجهد ومشقة عن طريق الحدس والاستنتاج أو المقارنة مع ما ذكره مؤلفون آخرون»[2].

- محاولة التقريب بين الأصل وما استقرئ عن الكاتب «الوزان» لبعض الكلمات أدى إلى تحريف عدد من المفاهيم أثناء الترجمة مثل :كلمتي غرناطة والغرناطي اللتين ترجمتا في الغالب بالأندلس و الأندلسي»[3] .لأن المتأخرين من الأندلس لاسيما الذين عاشوا في مملكة غرناطة لم يكن في تصورهم «أن بلاد الإسلام في شبه جزيرة أيبيريا تعدو غرناطة»[4]

[1]الحسن الوزان الفاسي،وصف إفريقيا(المقدمة)،ص19.

[2]المصدر نفسه، ص ص19.20.

[3]المصدر نفسه، ص23.

[4]المصدر نفسه، ص23.

- اعتماد بعض الكلمات مثل:"feu» و ترجمها بالكانون لما اشتهر في البادية لإحصاء القبائل، فقد كان مصطلح السروج لفرض عدد الفرسان في الحروب.

4-مغالطات الترجمة والمترجمين:

إن الترجمة الأولى لكتاب «وصف إفريقيا « كانت باللغة اللاتينية والأنكلوساكسونية من لدن المؤلف من عصره إلى يومنا هذا .وفيها يأتي بعض المترجمين للكتاب فرتبه ترتيبا كرونولوجيا حسب ما ورد في كتاب وصف إفريقيا «المقدمة»:

- سنة1550م نشر الإيطالي «راميزيو Ramusio « كتاب وصف إفريقيا بمدينة إيطاليا اعتمادا من مخطوط باللغة الإيطالية للمؤلف إلا أنه غيره وكيفه ليجعله سهلا للقراءة ونفدت هذه الطبعة بعد أربع سنوات ،وتجددت بعد ذلك نفس الطبعة لأكثر من ستة مرات.
- سنة 1556ترجم «فلوريانFlorian « كتاب وصف إفريقيا إلى اللغة اللاتينية ترجمة رديئة اعتمادا على الطبعة الإيطالية الثانية في»زيوريخ»بعد سنة،وطبعة رابعة في «لايد Laid«سنة 1632م.
- سنة 1556م كانت سنة أول مرة ترجم فيها كتاب «وصف إفريقيا» إلى الفرنسية من طرف «طمبورال J.Temporal» اعتمد فيها على الطبعتين الإيطاليتين الأوليين حيث نشر في هذه السنة مرتين في كل من ليون و أنفيرا ببلجيكا،وأعيد نشره في» لايد «سنة 1564م.
- سنة 1805م اعتمدت الترجمة الألمانية المنشورة في «هيربونHerbin «على الطبعة الإيطالية الأصلية ،كما اعتمدت الترجمة الهولندية المنشورة في أمستردام سنة 1665م على الترجمة اللاتينية ،والترجمة الإنجليزية المنشورة في لندن سنة 1600م.
- سنة 1830م حقق وحلل «شفير Schäfer » الكتاب في ثلاثة أجزاء وكذلك سنة 1896م.

- سنة 1949م ترجم الطبيب الفرنسي»إيبولار A .Epaulard «من الترجمة المكتوبة بفرنسية القرن السادس عشر–التي أصبحت الآن شبه مغلقة على القراء– إلى ترجمة حديثة للكتاب.
- سنة 1949منشرت الترجمة الأخيرة التي قام بها «ايبولا Ipoula» الفرنسي من طرف معهد الدراسات العليا بالرباط في جزأين وهي الدراسة المعتمدة الآن والتي تم إرجاءها إلى أصلها العربي .

وعلى الرغم من كل هذه التقلبات التي تأرجح فيها الكتاب ،و رغم المغالطات التي تسببت فيها الترجمة إلا أن الكتاب لم يفقد قيمته المادية ،بل لاق وزاد استحسانا كبيرين من طرف الأوروبيين والعالم ككل لما فيه من حقائق ملموسة ساهمت حتى في ضبط الخرائط القريبة إلى الخرائط العلمية المطابقة للواقع وكذا المسالك والمسافات والتضاريس حتى صار»الفقهاء والعدول والصناع والتجار و الحمالين يتحركون نفس التحركات «[1].

فقيمة الشيء تعرف من كثرة الإقبال عليه، ومع ذلك فالمترجمين عمدوا إلى استبعاد ومطابقة بعض المصطلحات القديمة إلى مصطلحات حديثة ككلمة «الميل»التي ساووها بالكيلومترات، و التواريخ الهجرية التي أضافوا إليها السنوات بالميلاد و كذلك عمدوا إلى تجنب التعليق على أسماء المساحات والأوزان و المكاييل كالذراع والقدم والشبر لأنها من اهتمام المختصين العارفين بمقاديرها الحالية.

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق،ص 20.

5-مصادر ترجمة الوزان : «مرتبة كرونولوجيا»[1]:

إن **قيمة** الحسن الوزان وأهمية الكتب التي ألفها جعلته قبلة للدارسين في مختلف العلوم و التخصصات للبحث في مؤلفاته لأنه استطاع أن يلم بعديد العلوم التي تساعد على التقدم في المجالات الحيوية في الحياة كالطب والجغرافيا والتاريخ وهذا ما يدل على كثرة المؤلفين الذين جاؤوا على ذكره في مؤلفاتهم مرتبين ترتيبا كرونولوجيا كالآتي:

1. المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف، سنة 1876م.
2. سليم أفندي ميخائيل شحاتة ،في الجغرافية وجغرافيي الإسلام ،مجلة المقتطف،ج7،سنة 1883م.
3. شفير،مقدمة الترجمة الفرنسية لكتاب وصف إفريقيا سنة 1896م.
4. لوي ماسينون، المغرب في السنوات الأولى من القرن السادس عشر ،سنة 1906م.
5. لوي ماسينون ،دائرة المعارف الإسلامية.
6. هيسبريس،مترجموا ليون الإفريقي سنة 1930م
7. محمد المهدي الحجوي حياة الحسن الوزان وآثاره ،سنة 1933م.
8. سعيد حجي، سلسلة مقالات في مجلة المغرب سنة 1935م.
9. ج.كولان،تعليق على كتاب حياة الوزان وآثاره هيسبريس 1935م.
10. ك.بروكلمان ،ملحق،سنة1937م.
11. ريمون موني ،الأسفار العظيمة لليون الأفريقي' هيسبريس،ج41،سنة 1945م.
12. إيبولار،مقدمة الترجمة الفرنسية لكتاب وصف إفريقيا سنة 1956م.

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي،وصف إفريقيا(مقدمة الطبعة الأولى)، ص ص5.6.

13. أغناطيس ونكراتيد كوفسكي،الأدب الجزائري عند العرب،ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم،سنة 1957.

14. محمد داود ،تاريخ تطوان ،هامش 1،سنة 1957.

15. عمر رضا كحالة،معجم المؤلفين ،سنة 1957.

16. أحمد أبو سعيد ،كتاب أدب الرحلات ،سنة1961م.

17. الدومييل ،العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ،ترجمة عبد الحليم النجار وآخرون سنة 1962م.

18. محمد عبد الله عنان،شخصية الحسن الوزان أو ليون الإفريقي ،مجلة العربي 43سنة 1962م.

19. نجيب العقيقي، المستشرقون، سنة 1964م.

20. محمد المختار السويسي ،ايليغ قديما وحديثا،هامش443سنة1966م.

21. محمد عبد الله عنان ،شخصية الحسن الوزان الغرناطي ،محاضرة بالفرنسية في جنيف ،سنة 1967م.

22. بوفيل ،الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، ترجمة د.زاهر رياض ،سنة 1968م.

23. عبد القادر زمامة ،ليون الإفريقي ،مجلة اللقاء ،سنة 1969م.

24. مصطفى مسعود، الحسن بن محمد الوزان، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، سنة 1970م.

25. شوكت الشطي،نظرات إلى ثقافة العرب الطبية في الحضارة الأندلسية ،سنة 1970.

26. جمال زكريا قاسم ،الحسن الوزان رحالة عربي ومصنف فرنجي ،مجلة العربي سنة1972م.

27. عبد الهادي التازي،جامعة القرويين ،سنة1973م.

28. شوقي عطا الله الجمل، محمد الحسن الوزان، مجلة المناهل سنة1975م.

29. محمد حجي، الحياة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، سنة 1977م.

30. محمد أحمد زوام،الحسن الوزان –رسالة ماجستير–مخطوط بمعهد الدراسات الإفريقية بالقاهرة،سنة 1398م.

6-شخصيات نهل منها الوزان:

حتى و إن اعتبرنا الوزان من أكبر المؤرخين و الجغرافيين الذين لم تعرفهم البشرية من قبل إلا أن «مسافة ألف ميل تبدأ بخطوة»، فمؤلفنا الحسن الوزان قد نهل هو الآخر ممن سبقوه من العرب غير العرب ،حيث نجده يستشهد ببعضهم عند تأليفه لكتبه لما رآه أو سمعه لتأكيد كلامه ،وهذا يدل على أمانته التي اشتهر بها كتابه رغم بعض المغالطات التي أرجعها النقاد إلى خيانة الترجمة من جهة ،و إلى الفـــــارق الزمني بين الرحلات التي قام بها وعندما قام بكتابة مؤلفه الضخم «وصف إفريقيا» لم يكتبه عند انتقاله بين الأمصار و إنما اعتمد على ما علق بذاكرته وجمعه بعد اقتياده إلى أوروبا، حيث أجمع المؤرخون و المترجمون عـلى أنه مضت عشر سنوات بين الرحلات والتدويــن ؛ نذكر منهم:

1. البكري أبو عبيد الجغرافي الأديب المؤرخ الأندلسي.
2. أبو نعيم الأصفهاني مؤرخ.
3. أثير الدين الأبهاري مؤرخ.
4. ابن عمر الكلبي مؤرخ.
5. الشريف الإدريسي الجغرافي أبو الجغرافيا وصاحب نزهة المشتاق.
6. التادلي المؤرخ المغربي صاحب حياة الشيخ أبي يعزى.
7. ابن الجوزي مؤرخ بغداد.
8. عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ الفيلسوف مبتكر فلسفة التاريخ.
9. ابن خلكان المؤرخ الكبير صاحب الوفيات.
10. ابن كثير المؤرخ الشهير.
11. ابن الكاتب الغرناطي المؤلف.
12. ابن الحسن الاشبيلي المؤرخ .
13. ابن فضل الله العمري المؤرخ الجغرافي صاحب الموسوعة الشهيرة.
14. ابن جلجل سليمان بن حسن المؤرخ الفيلسوف.

15. ابن الأبار أبو عبد الله المؤرخ.
16. ابن بشكولان بن عبد المالك المؤرخ.
17. ابن حيان المؤرخ.
18. ابن الرقيق المؤرخ.
19. مزندواني مؤرخ.
20. المسعودي المؤرخ الجغرافي صاحب أخبار الزمن و مروج الذهب.

أما غير هؤلاء ممن ورد ذكرهم في كتابه أو استمد منهم؛ فهم:

1. ابن رشيد القاضي الفيلسوف الأكبر.
2. هارون بن سنطول العالم اليهودي وزير بني وطاس بفاس.
3. ابن أبي الدنيا.
4. أبو بحر بن شلسون الفيلسوف.
5. عبد الله بن البيطار النباتي الطبيب الشيخ الرئيس صاحب القانون.
6. ابن طفيل محمد بن عبد المالك الاشبيلي الفيلسوف الطبيب.
7. إسحاق بن عمران الطبيب القيرواني.
8. جهنا بن مزياك الفيلسوف.
9. ابن عمران موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودي.
10. عبد الملك المرجاني الأديب.
11. مالك بن أنس إمام المذهب و إمام دار الهجرة.
12. مزياك المرداني الفيلسوف.
13. المغربي الغرناطي الكيماوي.
14. النسقي المتكلم المؤلف في أصول الدين.
15. ابن سهل الإسرائيلي الأندلسي.
16. أبو بكر الباقلاني الفيلسوف القاضي.
17. شرف الدين البوني الصوفي.
18. الدباغ شاعر مالقي.

19. الجرجاني الأديب المتفنن واضع علم البيان.
20. أبو حامد الغزالي الفيلسوف الصوفي حجة الإسلام.
21. الحارث بن أسد البصري المتكلم.
22. الحسن البصري المحدث.
23. عمران بن إسحاق من علماء اليهود بطليطلة.
24. أبو الحسن بن الأشعري المتكلم صاحب مذهب الأشعرية.
25. أبو ناجم السهراوردي الفيلسوف.
26. أبو الحسن الصوفي الفيلسوف الفلكي.
27. الطوسي نصير الدين الفيلسوف الفلكي المنجم.
28. التفتزاني الخرسان الفيلسوف.
29. الزهراودي الطبيب.
30. أبو نصر الفارابي الفيلسوف إمام فلاسفة الإسلام.
31. جابر بن حيان الكيماوي الأكبر.
32. أبو بكر الرازي الطبيب أحد أئمة الطب و الفلسفة.
33. الصفدي الشاعر.
34. الطبراني أحد الفلاسفة.
35. أبو الحسن بن النفيد الفيلسوف الكبير المعروف بمبادئه.
36. الطغراني الوزير الشاعر صاحب المدونة و مرجع إفريقيا في الفقه.
37. ابن العوام صاحب كتاب في الزرعة.

أما غير العرب فنجده أتى على ذكر:

1. تيت ليف و بلين وبطليموس Tite-Live, Pline, Ptolémie.

خاتمة:

الفصل كان فصلا افتتاحيا لموضوع المذكرة أين تطرقت فيه لمادة الكتاب على نحو عام وعن كل من اهتم به لما يحمله من فائدة عمت وعمت العالم بأسره ،فكانت ذاكرته هي القلم الذي يخط به وملاحظاته الدقيقة هي المداد الذي لم يمحه الزمن منذ الأزل.

الفصل الثالث:

الوزان و الآخر.

أولا :مسار رحلة الوزان.

ثانيا:البلدان و تباييناتها.

1-مدينة الفسطاط "باب زويلة".

2-مدينة تلمسان.

3-مدينة قسنطينة.

4-مدينة الجزائر.

ثالثا:مشاهدات الوزان.

1-التعاملات.

2-العمران.

3-الأسرة.

4-الأخلاق.

5- الطعام.

تمهيد:

شهد العالم العربي بروز شخصيات فكرية عديدة سمت بسمو أعمالها الجليلة التي قدمتها للعالم ككل عرفت بالرحالة؛ ومن هؤلاء نذكر:الحسن الوزان، ابن سعيد الأندلسي،ابن بطوطة، العبدري ، ابن جبير... ،هم الشخصيات التي أثبتت وجودها وأفكارها انطلاقا من حركة صغيرة قامت بها تمثلت في الانتقال من مكان إلى مكان قصد إزالة اللبس عما يمكن أن يقال و حتى عما يروى ممن سافروا و انتقلوا إلى شعوب غير شعوبهم،و أداتهم في ذلك التقصي و المعاينة و دقة الملاحظة و الأمانة في نقل القول والفعل ،كل هذا لهدف واحد هو معرفة أحوال المجتمعات بمختلف حقائقها.

إن الظروف التي مرت بها البلاد العربية –في القرن السادس الهجري–ككل بعد نشر الإسلام في عديد بقاع العالم دفع بالصليبيين إلى إعداد العدة لاسترداد ما أخذ منهم ،فصارت جل المجتمعات الإسلامية تعيش في اضطرابات سياسية أدخلتها في دوامة من المؤامرات والنزاعات ،و بالرغم من أنها لم تصب تطور الفكر و تعدد منابع المعرفة بالتقهقر ،إلا أن هذه الحالة التي دامت حوالي ستة قرون تقريبا جمدت الرحلات، فكانت محتشمة لحد كبير ولم يستطع عديد الرحالة الإيغال في رحلاتهم بكل أمان.و بعدما استطاعت الدولة الإسلامية الهيمنة والسيطرة على حال دولتها عاد الهدوء المنشود إلى نفوس المسلمين حتى القرن الثالث عشر الهجري «التاسع عشر ميلادي»أي مع بداية حركة النهضة العربية الحديثة إلى وقتنا الحاضر،فصال الرحالة وجالوا في ربوع الأمصار المختلفة و البعيدة فكتبوا انطباعاتهم و وثقوا ملاحظاتهم و نقلوا طبيعة عيش غيرهم بكل أمانة و مصداقية ،و لكي لا يضيع كل ما جمعوا من مواد قاموا بتدوينه في مخطوطات بعضها اشتهرت باسم الرحلة و مسارها وبعضها سميت بأسماء أصحابها؛كرحلة ابن جبير، رحلة ابن بطوطة...الخ ،أما الوزان فقد سمى رحلته بما حملت بين طياته أي وصف إفريقيا.

فبفضل الاهتمام الذي أولاه الأوروبيون والمستشرقون على وجه الخصوص لدراسة تراث الشعوب العربية والإسلامية، لاقت هذه المخطوطات الاهتمام الوافر الذي ساعد في إخراجها من ظلمة المخطوطات المهجورة إلى نور الطباعة و التجليد والدراسة والتحليل.

أولا:مسار رحلة الوزان:

تعتمد حياة الرحالة على دوافع أساسية أهمها الانتقال إلى مختلف البلدان لكسر حاجز الخوف من الآخر وثانيهما؛ دراسة أحوال المجتمعات وما هي عليه من طرق عيش وما إلى ذلك من عادات و تقاليد ،فالبعض منهم يضع مسارا مبدئيا لرحلته وآخر يدركه بعد وصوله إلى أبعد نقطة تمنى وصولها ،وآخر يرسمه فور عودته من نقطة وضعها للانطلاق إلى أخرى وضعها للرجوع.أما الرحالة الحسن الوزان فالأرجح أن تكون نقطة البداية هي المغرب العربي والنهاية الحرم الشريف ليعود بعد ذلك إلى مسقط رأسه إلا أن الأقدار شاءت دون ذلك فصار يتوغل في المجتمعات وعاداتها حتى ترك وراءه مسارا رسم لنا به صورة حية عن عالم المغرب العربي و الإفريقي.

وحسب ما وجده المترجمون حول حياة الوزان و بالخصوص فيما يتعلق بتنقلاته بين أرجاء البلدان و الأراضين في جل أرض المغرب و العربي و بلدان إفريقيا و آسيا أنه بدأ التنقل مع والده وهو صغير ،حيث يرافقه في أسفاره للريف لقضاء مهمات وظيفه . وكان يرحل كل سنة منذ صباه لحضور موسم مولاي بوعزا "الشيخ أبي يعزى"بالأطلس بمدينة تاغيا و بفضل هذه الأسفار التي كان يقوم بها كل سنة جنوبا تارة و شمالا تارة أخرى تعرف بنواحي فاس وكان ذلك أول معلوماته الجغرافية ويؤخذ من كلامه في خاتمة كتابه أنه رحل رحلة أولى في صباه إلى بلاد شاسعة بإفريقيا و آسيا حتى أهله هذا التنقل لأن يكون جغرافيا بجدارة مارس ذلك بالمعاينة والاختبار منذ صباه و أتم ذلك في شبابه برحلات عديدة في المغرب وإفريقيا وحتى الشرق وأوروبا.

1-رحلة إلى الشواطئ الغربية:القريبة من فاس،حيث حضر محاصرة الوطاسيين لمدينة أصيلة المحتلة من طرف البرتغاليين ،عام 914هـ/1508م،ثم زار منطقة سلا في آخر سنة نفسها.

2-رحلة إلى وسط المغرب:حيث زار منطقة تادلا ،ومدينة تافزا بعد أن خضعت لحكم الوطاسيين ،وتعرف في هذه المرحلة على الشريف السعدي محمد القائم بأمر الله الذي بويع في الجنوب أميرا للجهاد ،عام915هـ/1509م.وكانت العلاقات آنذاك طيبة بين مملكة فاس

وإمارة السعديين الناشئة ،لاتحاد وجهة نظرهما في ضرورة التعاون لمناهضة المسيحيين المحتلين ،لا سيما في المناطق النائية عن فاس التي لا تصل إليها كتائب الجهاد الوطاسية.فتردد الحسن الوزان على هذه المنطقة الحساسة أكثر من مرة ليقوم بأدوار سياسية باسم كل من الملك الوطاسي والأمير السعدي في محاولة لاسترجاع أحد الرؤساء المحليين المنحرفين ،وهو يحي بن تعففت على الذي انبسط نفوذه على بلاد عبدة ودكالة وطرف من تادتة تحت حماية البرتغاليين الذين كانوا يزودونه بالمال والعتاد،و أصبحوا من ورائه يهددون داخل البلاد حتى وصل فرسانهم إلى أسوار مراكش ،بعد أن كان الاحتلال المسيحي لا يتجاوز سيف البحر ،وإذا كان اتصال الحسن الوزان لم يسفر عن نتيجة إيجابية ،ولم يحقق صرف هذا القائد الضال عن محالفة العدو المسيحي ،فإنها كانت فرصة لصاحبنا أن يجوس خلال الديار المحتلة و يتعرف إلى ناحية أسفي و عبدة .و يستقصي السعديون بعد سنوات علي يحي و حلفائه في معركة فاصلة.

3-**رحلة إلى بلاد السودان:** صحب فيها عمه الذي كان مكلفا عام 917هـ/1511م بسفارة بين ملك فاس و محمد الوطاسي البرتغالي و ملك سنغاي محمد أسكيا الكبير،وقد سلكوا في الذهاب الطريق الغربي عبر مراكش ودرعة ، وأخذوا في الرجوع طريق سجلماسة-فاس.

4-**رحلة إلى الأطلس الكبير**:حيث كلف عام 918هـ/1513-1512م بمهمة سياسية لدى القبائل الساكنة في جبال دادس و ما حواليها .فتجول في هذه المنطقة سبعة أشهر ولم يرجع إلى فاس إلا في أواخر السنة.

5-**رحلة أخرى إلى بلاد حاحا:** في السنة التالية 919هـ/1514مكلف أثنائها بالاتصال بالأمير السعدي محمد القائم بأمر الله الذي بايعته آنذاك قبائل المنطقة وأخذ سلطانه يشمل حتى سفوح الأطلس الغربية و الشمالية و يبدو أن الوزان وفق في مهمته السياسية هذه فثبت الود والتعاون بين الإمارتين أو المملكتين في الشمال والجنوب ،وتمكن من زيارة منطقة أخرى لم يكن يعرفها ،إذ كان لقائه بالشريف السعدي في مدينة تسكدلت وصحبه إلى مدينة

تكاووست في وسط سوس ثم تركه و رجع عن طريق دكالة،فحضر معركة بولعوان بين المغاربة والبرتغاليين قبل أن يلتحق بمراكش.

6-رحلة من مراكش إلى سوس: عبر ممر أمزميز عام920هـ/1515م،حيث اخترق جبال الأطلس ليلتقي بالشريف السعدي .ولعل زيارة مراكش هذه بإيعاز من الشريف لربط الصلات مع الأمير الناصر الهنتاني الذي كان مستعبدا بمنطقة مراكش سهلا وجبلا . وإذا صح الافتراض فإن رحلة الوزان كانت موفقة علميا حيث اطلع على جغرافية المنطقة وتعرف على جبالها و قراها وسكانها.

7-رحلة إلى الحجاز: في أواخر عام921هـ/1516م،سلك فيها مع ركب الحجاج الفاسيين الطريق الشمالية عبر مدن تازة فدبدو فتلمسان فتونس.

8-رحلة إلى الأستانة: خرج إليها بعد أداء فريضة الحج للقاء السلطان سليم الأول سفيرا إليه من قبل ملك فاس محمد الوطاسي البرتغالي .غير أن سليما قد خرج في حملته العسكرية الكبرى للاستيلاء علي الشام ومصر.فلحق به الوزان هناك و حضر معه المعارك العنيفة التي انتهت يوم 21أبريل1517بالقضاء على المماليك في مصر و مكث في زيارة بلاد الكنانة بضعة أشهر إلى أن خرج السلطان سليم من الإسكندرية ،فصعد هو مع النيل إلى السودان و تجول فيه قبل أن يبحر إلى جدة و يزور الينبوع .وقد استغرق في ذلك بقية عام 923هـ.

9-الانتقال إلى البلاد الليبية والتونسية في طريق الرجوع إلى المغرب: و يبدو أن الحسن الوزان مكث هناك حوالي سنتين ،إذ نجده في عام 1520ميبحر من تونس ليعود إلى المغرب ،لكن لسوء الحظ وقع في أيدي القراصنة فأسروه في قرية جربة.

ومهما يكن من شيء فإن المسار الذي سار عليه الحسن الوزان لم يكن مسارا محددا بل كان حسب ما تتطلبه الضرورة كونه سفيرا أولا و رحالة ثانيا لهذا نلحظ تنقلاته بين الذهاب

والإياب والاتجاه شمالا وجنوبا،حتى كانت نهاية تنقلاته في الأرض الإفريقية مأسوية لتكون بذلك كل مسارات حياته تغيرت نهائيا.[1]

[1]أغناطيوس يوليا نوفيتش كراتشكي كوفسكي،تاريخ الأدب الجغرافي،تع:صلاح الدين عثمان هاشم،الإدارة الثقافية ،جامعة الدول العربية،ص451.

ثانيا: البلدان و تباينـاتها :

سهم الرحالة بشكل كبير في إجلاء اللثام عن شعوب عديدة في مختلف جوانبها الحياتية ،وبهذا استطعنا إدراك ما لم نكن نعرفه عنهم وإن اختلف من زمن لآخر ،فالوزان من خلال رحلته وجد بعض المجتمعات على غرار ما وجدها آخرون قبله مثل :أبو سعيد الأندلسي[1] و محمد العبدري[2] على سبيل المثال لا الحصر ،فإذا ما قورنت رحلاتهما بما كتبه الوزان في نفس البلدان التي مروا بها لوجدنا بعض الالتقاء و كثيرا من الاختلاف،وهذا لسببين رئيسيين :أولهما ؛أن القرن الذي ارتحلا فيه كلا الرحالتين هو السابع الهجري أين كانت الشعوب لا تزال تعيش على بدائيتها في عديد المناطق ،ففكرة التمدن لم تصل بعد لتمس كل الأقطار على غرار زمن رحلة الوزان أي في القرن العاشر الهجري ،أين كثرت التنقلات بين البلدان و تفتحت العقول بفضل انتشار العلم و التجارة والمفاهيم الأولى للتمدن والتحضر ،حيث صارت المجتمعات تبتعد شيئا فشيئا عن وحشيتها البدائية وتفكيرها المنغلق،والسبب الثاني هو لأجل معاينة ذات البلدان ومعرفة إذا حصل بها تغير منشود يستحق الذكر و هذا لإدراك وتيرة عجلة التطور في البلاد العربية على وجه الخصوص. فقد تمخض عن رحلة كلا من الوزان وابن سعيد مسارا مشتركا بينهما أوصلهما إلى منطقة واحدة، هي إقليم مصر وبالذات مدينة الفسطاط عند باب زويلة.أما رحلة العبدري فقد تقاطعت مع رحلة الوزان في ثلاث محطات كبرى و رئيسية هي مدن :تلمسان، الجزائر وقسنطينة كون البيئة والنقطة التي انطلق منها الوزان والعبدري هي المغرب العربي فهما من بلد واحد.

---

[1] أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد من آل سعيد الذين ينتسبون، إلى الصحابي الجليل عمار بن ياسر ولد سنة 605هـ/1208م في قلعة يحصب (بني سعيد)،هو مؤرخ وأديب ورحالة أندلسي،اعتمد عليه الكثيرون في استقصاء أخبار ومعالم الأندلس أبدع في تدوينها في كتاب (المغرب من حلى المغرب)و كتاب ضم مشاهداته في المشرق ودعاه (المشرق في حلى المشرق)جمعهما في كتاب كبير سماه(فلك الأرب المحيط بحلي لسان العرب).توفي سنة685هـ/1286م.

[2] محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري بالرغم من أنه فقيها و لغويا وأديبا ورحالة مغربي إلا أنه قليل التأليف وانحصرت أعماله في :مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة(مطبوع في ثلاثة أجزاء)؛رحلة العبدري أو الرحلة المغربية؛شموس الأنوار وكنوز الأسرار :في علم الحروف وروحانيته.توفي سنة 700هـ/1300م.

وفيما سيأتي نماذج من هذا الاتفاق و الاختلاف الذي يبرز ما سبق ذكره اعتمادا على مقارنة رحلتي ابن سعيد و العبدري مع رحلة الوزان.

1-مدينة الفسطاط "باب زويلة":

جاء فيما قدمه الوزان في تحديده لأصل المصريين و نسبهم أنه بعد دخول الإسلام بنى عمرو بن العاص مدينة صغيرة على ضفة النيل سماها العرب الفسطاط ،و هي تعني الخيام فسمى الشعب هذه المدينة مصر العتيقة –أي القديمة – كون القاهرة هي المدينة الجديدة آن ذاك ،و بُني بها مسجد كذلك و الأرجح أن يكون نفسه المسجد الذي أشار إليه ابن جبير في رحلته الموسومة باسمه.[1]

عند وصول الرحالة ابن سعيد مصر استقر بالقاهرة و تشوق لمعاينة مدينة الفسطاط أثارته ظاهرة غريبة لم يجدها في أي بلد مر به حيث يقول : «رأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير إلى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لي بمثلها في بلد...»[2]،فأُمر بركوبها فتأفف فقيل له : «إنه غير معيب على أعيان مصر،و عاينت الفقهاء و أصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها فركبت.»[3].

وكان هذا الأمر سيئا ومريبا بالنسبة له فهو لم يتعود على مثل هذا، حتى صار ينشد قائلا:[4]

«لَقِيتُ بِمِصْرَ أَشَدُّ الـــبُوَارِ رُكُوبَ الحَمِيرِ وَكَحْلَ الغُبَـــارْ.

وَخَلْفِي مَكَارٌ يَفُوقُ الرِّيَــاحَ لَا يَعْيرِفُ الرِّفْقَ مَهْمَا اسْتَطَـارْ.

أُنَادِيهِ مَهْلًا فَلَا يَرْعَـــوِي إِلَى أَنْ سَجَدْتُ سُجُودَ العِثَــارْ.

وَقَدْ مُدَّ فَوْقِي رُوَاقُ الثَّــرَى وَالحَــدُّ فِيهَا ضِيَاءَ النَّهَــارْ.»

فدفع للمكار»الأجير» أجرته وأكمل طريقه مشيا على الأقدام حتى وصوله إلى الفسطاط،فبهتت مسرته لما رأى حالها المزري، فقال: «تأملت أسوارا مثلمة سوداء وآفاق مغبرة...خراب مغمور بمبان مشتتة الموضع ،غير مستقيمة الشوارع حولها أبوابها من التراب

[1]ابن جبير،رحلة ابن جبير،دار صادر ،بيروت ،1964،ص29.

[2]فؤاد قنديل،أدب الرحلة في التراث العربي،مكتبة الدار العربية للكتاب،ط2،القاهرة،2002،ص455.

[3]المرجع نفسه،ص455.

[4]المرجع نفسه،ص455.

الأسود والأزبال ما يقبض نفس النظيف إلى أن صرت في أسواقها الضيقة فقايست من ازدحام الناس فيها لحوائج السوق و الروايا التي على الجمال فعاينت من ضيق الأسواق التي حوله.»[1].

ومع ذلك فأناس الفسطاط على حسب ما جاء في حديث ابن سعيد أنهم: «في غاية اللطف واللين في الكلام و رعاية الصحبة وكثرة الممازحة و الألفة «[2].

لكن الوزان في كتابه "وصف إفريقيا"عندما وصل إلى باب زويلة وجد: «عددا لا يحصى من الصناع ،وقرب هذا الزقاق فندق يسمى خان الخليلي ...وفي الجانب الآخر من الزقاق الرئيسي حي يقدم فيه بائعو العطور، وهذه المواد كثيرة حتى إنه إذا أراد أحد أن يشتري من تاجر أوقية من المسك عرض عليه مائة رطل ،وهذا شيء مدهش ، وعلى جانب هذا الزقاق الرئيسي ما يُضفي إلى حي الصاغة.و هم يهود تمر بين أيديهم ثروات عظيمة،ويقيم في حي آخر تجار يبيعون بالتقسيط كمية وافرة من المنتوجات الفاخرة...هي قطع عجيبة ذات قيمة فائقة»[3].

فإذا ما قارنا بين قول الرحالتين نجد فرقا شاسعا في الوصف، حيث إن الحالة التي وجد ابن سعيد مدينة الفسطاط –عند باب زويلة–مغايرة تماما لما وجدها الوزان عليه،والتداخل المجتمعي بين مصر وضواحيها مع بقية البلدان بفضل نهر النيل قد حال دون بقاء الفسطاط على حالتها الأولى– زمن ابن سعيد–،فتغيرها من مكان شبيه بكومة النفايات أكرمكم الله–في قوله: «مبان مشتتة الموضع غير مستقيمة الشوارع ،وأبوابها من التراب الأسود والأزبال» دليل على أنها كانت في غاية الإهمال من طرف ساكنيها ،وهذا «ما يقبض نفس النظيف»و حتى سكانها يعيشون في فوضى مع ذواتهم حتى عان ابن سعيد من «ضيق الأسواق التي حوله»،و ما ساعده على قضاء بعض من أيامه في هذه المدينة بالرغم مما عابه منظرها هو طيبة و لطف أخلاق أهلها فهم «في غاية اللطف واللين في الكلام ورعاية الصحبة».

---

[1] فؤاد قنديل،المرجع السابق،ص456.

[2] المرجع نفسه،ص456.

[3] الحسن الوزان،المصدرالسابق،ص206.

أما الوزان فلم يجد هذه المدينة كما وصفها ابن سعيد على العكس تماما، وجدها في غاية التنظيم و النظافة و الإهمال بالأعمال وبجمال المدينة التي صارت بفضل أصحابها أكثر استقامة في كل شاردة وواردة حتى تأبى نفس الداخل إليها الخروج منها.ففي الفترة الممتدة ما بين القرن السابع والعاشر الهجري تطورت هذه البلاد تطورا ملحوظا أوصلها إلى مصاف البلدان الأكثر تحضرا و رقيا من غيرها.

وهذا هو الاختلاف المنشود من مقارنة نصوص هذه الرحلات التي تعتبر خير دليل على حال المجتمعات وتبايناتها فيما بينها من جهة ومن زمن لآخر من جهة أخرى.

2-مدينة تلمسان:

جاء في هامش كتاب الوزان أن تلمسان صيغة جمع بربرية لكلمة تلمسي التي تعني المكان الذي يستقر فيه الماء و ذكر المعلقون في الترجمة الفرنسية أن تلمســان كانت تدعى أيام الرومان "توماريا" أي الحدائق ،وكانت في الأصل قريتان :أغادير و تاقرارت أسست الأولى على يد المولى إدريس الكبير والثانية على يد ملك مراكش يوسف بن تاشفين وانضمتا لبعضهما البعض لتصبح تلمسان.[1]

تبدأ المقارنة على الأرض التلمسانية بين العبدري والوزان بالاتفاق حول جغرافيتها حيث أورد العبدري في رحلته أن تلمسان في القرن السابع الهجري كانت من أفقر البلدان وأحوجها للأمان إضافة إلى قساوة الطبيعة بها حيث يقول : «وصلنا تلمسان فوجدنا بلدا حلت به زمانة* الزمان وأخلت به حوادث الحدثان فلم تبق به علالة* ولا تبصر في أرجاءه للظمآن بلالة ...وتلمسان مدينة كبيرة نصفها في السهل ونصفها الثاني في منعرج من الجبل»[2].

أما الوزان فرسمها لنا على أن معظمها «أقاليم جافة قاحلة ،لا سيما في جزئها الجنوبي،لكن السهول القريبة من الساحل منتجة جدا نظرا لخصبها ،والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المفازات ،حقا إنه توجد غربا عدة جبال قرب الشاطئ «[3].

ومن هنا نلاحظ أن تلمسان سياسيا لم يتغير بها أمر بل ظلت على اضطرابها رغم مرور زمن طويل ،فالوزان في رحلته ذهب إلى إبراز التوتر القائم بين الملوك التلمسانيين

---

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق،ص9.

*زمانة:الآفة و العاهة.

* علالة: بقية

[2]العبدري أبوعبد الله،رحلة العبدري،تح:علي ابراهيم كردي،دار الدين سعد ،ط2عين الكرش،دمشق،2005،ص48-47

[3]الحسن الوزان ،المصدر السابق،ص10.

وشعبهم،حيث كانوا: «دائما مضطربين إلى أن يهدئوهم بأداء إتاوة جسيمة و تقدم الهدايا لهم ... وقلما توجد في البلاد سبل آمنة»[1].

و لأن غرب مملكة تلمسان هي منطقة صحراوية وعرة و يابسة لا ماء فيها و لا شجر صارت مأوى لعصابة من الأعراب على استعداد دائم للفتك بالمارين من هناك ،حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان»[2].

أما في مجال التعليم فقد ورد في رحلة العبدري أن «العلم قد دَرَسَ رسمُهُ في أكثر البلاد،وغاضت أنهاره فازدُحِمَ على الثّماد* ،فما ظنُّكَ بها وهي رسْمٌ عفا طلله ومنهلٌ جَفَّ وشَلُهُ*»[3].

أما في زمن الوزان، فصار الازدهار والاهتمام بالعلم أكثر من أي زمن آخر حيث صار «بها قضاة ومحامون وعدد كبير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد سواء في الشريعة أو العلوم الطبيعية، وتتكفل المدارس الخمس بمعاشهم بكيفية منتظمة»[4].

إضافة إلى ذلك «توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة صينة،لها أئمة وخطباء ،وخمس مدارس جيدة البناء مزدانة بفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية ،شيد بعضها ملوك تلمسان وبعضها ملوك فاس.»[5]

وعن الجانب الروحي الديني ،فهو الأكثر شيوعا في تلمسان ،وفي هذا اتفق الوزان والعبدري في الوصف حيث جاء في رحلة العبدري أن «لها جامع عجيب مليح متسع وبظاهرها في

---

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق،ص9.

[2] المصدر نفسه،ص11.

*الثماد:حفر فيها الماء القليل.

*الوشل:الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ،يقطر منه قليلا قليلا و لا يتصل قطره.

[3] العبدري ،المصدر السابق،ص49.

[4] الحسن الوزان ،المصدر السابق،ص ص20-21.

[5] الحسن الوزان، المصدر نفسه،ص19.

سند الجبل موضع يعرف بالعبّاد و هو مدفن الصالحين وأهل الخير ،و به مزارات كثيرة،ومن أعظمها و أشهرها قبر الشيخ الصالح القدوة أبي مدين»[1].

هذا وقد جاء في كتاب الوزان وصفه لمدينة العبّاد أن تلمسان «بها دفن ولـي كبير ،ذو صيت شهير ،يوجد ضريحه في مسجد يصل الزائر إليه بعد نزول سلم من عدة درجات ويعظم أهل تلمسان و البلاد المجاورة لها هذا الولي كثيرا و يستغيثون به و يتصدقون عنده كثيرا لوجه الله،و يسمى سيدي مدين.»[2]

من خلال ما سبق كانت المقارنة بين ما شاهده العبدري و الوزان حول طبيعة المدينـة التلمسانية كون البيئة هي العامل الأساسي لازدهار الأمم أو افتقارها والسبب الأساسي لاختيار المقارنة البيئية هو تشكل بيئة مدينة تلمسان من متناقضين الأول ؛بيئة خضراء ومحيط اجتماعي مزدهر ،والثاني ؛أرض قاحلة و مفازات على طول النظر وحياة أساسها السرقة والنهب .فهذا التنوع النادر في البيئات التي مر بها الرحالتين جعل من تلمسان محط ناظريهما واللذين تنبها لنفس النقاط التي تولد عنها الاختلاف والتي أدت إلى تقهقر سياسي وأمني شديد في عصر كلا الرحالتين.

فقد ظل حال التلمسانيين كذلك حتى زمن الوزان–القرن العاشر الهجري– عدا ما يتعلق بالعلم .إلا أن الحال لم يبق على نفس الضعف في جميع المجالات فقد تطور مجال التعليم في زمن رحلة الوزان، حيث صار بالمدينة «قضاة ومحامون وعدد كبير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد»،هذا و قد ساد بعض الهدوء السياسي و تحسنت العلاقات بين الملوك وشعبهم حتى صاروا يحفزون شعبهم على التعلم فبنوا مساجد جميلة وخمس مدارس جيدة البناء ...».

أما الجانب الديني ،فلم تمس كرامته قديما ولا حديثا فتلمسان معروفة بالأضرحة والأولياء الصالحين حيث خصصت لهم مدينة بأكملها سميت بمدينة العباد كما ورد ذكرها في رحلة الوزان وهذا ما يدل على ورع ملوك تلمسان واحترامهم للدين رغم الصراعات الكثيرة

[1] العبدري،المصدر السابق ،ص ص48–49.

[2] الحسن الوزان المصدر السابق ،ص24.

3-مدينة قسنطينة:

قسنطينة المدينة الساحرة للقلوب والعقول ،محط الرحالة والقبلة المزدانة لكل طالب استجمام أو راحة .عرفت منذ القديم بجوهرةٍ الكل يطالب بامتلاكها حتى مر بأرضها أساطير وأوابد ،فقد جاء في هامش كتاب الوزان نقلا عن كتاب الجزائر «ص232» أن اسم قسنطينة في القديم هو سيرتا ،وهو اسم كنعاني فينيقي ،و فيها اشتهر ماسينيسا الشجاع الذي أراد أن يحصل على استقلال البربر بواسطة روما فخابت آماله ،ثم أصبحت سيرتا مستعمرة رومانية إلى أن خربها البربر على أثر ثورة دامية ،فأعاد الإمبراطور قسطنطين بناها «في أول القرن الرابع للميلاد» بناها و سميت باسمه ،وقد خففها الاستعمال العربي بحذف ياء وطاء،فصارت قسنطينة،وبذلك تتميز عن القسطنطينية العظمى التركية.[1]واشتق اسمها من كلمة رومانية هي قصر طينة،و كذلك من كلمة حصن طينة.

أدت كثرة الصراعات على مدى القرون القديمة بقسنطينة إلى جعلها أرضا خرابا تزين ظاهرها بموقعها و آثارها هكذا وجد العبدري قسنطينة في القرن السابع الهجري ،و جدها في حالة يرثى لها ،إذ قال واصفا إياها: «وصلنا إلى البلد الذي نشّفت الخضوب معينه،وأبت الأقدار أن تكون له معينة ،مدينة قسنطينة جبر الله صدعها وكفاها من نوائب الدهر ما واصل قرعها و هي مدينة عجيبة ،غير أنها لخضوب الدهر مستكينة قد ذَبِلَتْ ببوارح الغير،وفوادح الضرر رياضها و نبضت بسهائم الآفات ،وعظائم الملمات حياضها ،حتى صارت كالحسناء لبست أسمالا ،والكريم فقد مالا ،وقد دار بها واد شديد الوعر،بعيد القفر،أحاط بها كما يحيط السوار بالمعصم ،لكن سهام الدهر لا تقيها الجنن،ولا تمنع منها القنن...»[2].

أما في زمن مرور الوزان بقسنطينة ،فوجد خلاف ما وجده العبدري حيث وصفها قائلا: «أسوارها عتيقة عالية سميكة مبنية بالحجر المنحوت المسود ...يمر عند قدميها نهر

[1]الحسن الوزان، وصف إفريقيا،المصدر السابق، ص55.

[2]العبدري ،المصدر السابق،ص94.

اسمه سوفغمار*...للمدينة أسوار في غاية القوة بالإضافة إلى أنها تقع في أعلى قمة الجبل... وأبواب المدينة جميلة كبيرة مصفحة تصفيحا بالحديد...وهي متحضرة جدا ومليئة بالدور الجميلة و البناءات المحترمة»[1]

وأما في مجال العلم والعلماء ،فالعبدري لم يجد ضالته في قسنطينة بالكم الذي تمناه،إذ يقول: «لم أر بها من ينتمي إلى طلب ،ولا من له في فن من فنون العلم أرب سوى الشيخ أبي علي حسن بلقاسم بن باديس»[2]

أما الوزان وإن لم يأت على ذكر ذات العلامة –أي ابن باديس– فقد أشار إلى أنه وجد بقسنطينة ما يحيل على وجود اهتمام كبير بذلك ،حيث وجد بها»الدور الجميلة والبناءات المحترمة ،كالجامع الكبير ،والمدرستين والزوايا الثلاث أو الأربع»[3].

وهذا أكبر دليل على استقرار البلاد ونفوس العباد الذي ساهم في التطور الملحوظ فيما يخص جوانب كثيرة وصارت أكثر جمالا وتنظيما حتى صارت «أسواق المدينة عديدة حسنة التنسيق، بحيث إن جميع الحرف فيها مفصول بعضها عن بعض.»[4]

منذ القدم اتخذت مدينة قسنطينة عاصمة للشرق الجزائري وهذا لأمرين،الأول:أن موقعها الإستراتيجي الجغرافي الأخاذ جعلها قبلة للأعين التي لم تجد في تصميمها الرباني إبداع خاص لا يوجد في مكان غيرها،والأمر الثاني أنها موقعها الجغرافي أهلها لتكون حصنا عسكريا طبيعيا فاستفاد منه سكانها ومغتصبيها على طول الأزمنة الغابرة.

أما وأن الزهر لو كثرت عليه الأيدي لذبل ،فكان الحال كذلك بمدينة قسنطينة فلكثرة الطامعين وكثرة الحروب على أرضها صارت «كحسناء لبست أسمالا وكالكريم فقد مالا»هذه

*سوفغمار:معنى (سوف) النهر أو الواد في بعض اللهجات البربرية، لكن معنى باقي الكلمة لم يوضح بعد،و الظاهر أن الكلمة كلها تعني:وادي الرمل،حيث يصب بومرزوق قبل أن يصل إلى قسنطينة ،و قد نسخ مرمول هذا الاسم هكذا:سوفجمار بومرزوق.

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق،ص56.

[2] العبدري ،رحلة العبدري،ص95.

[3] الحسن الوزان ،المصدر السابق،ص56.

[4] المصدر نفسه،ص56.

هي الحال التي وجدها العبدري عليها مما حتى حزت في نفسه فقد تمنى أن يجد ضالته في العلم على حال أحسن من حال المدينة إلا أنه تفاجأ بوجود» الشيخ أبي علي حسن بلقاسم بن باديس» وهو الوحيد في المدينة الأكثر علما وتبصرا.

أما الوزان فلم يجد المدينة كما وجدها العبدري بل وجدها أكثر هدوء، وأكثر تحضرا ،بل وأكثر اهتماما بالعلم من سالف الأزمنة حيث وجد بها «الدور الجميلة والبناءات المحترمة،كالجامع الكبير ،والمدرستين والزوايا الثلاث أو الأربع»

وهذا ما يدل على أن سكان مدينة قسنطينة قد استطاعوا أن يفرشوا على مدينتهم سلطتهم الفردية التي أبقت قسنطينة في يدي أصحابها الأصليين الذي يساعد بشكل مباشر ورئيسي إلى الهدوء السياسي الذي أفرز هو الآخر إلى الطمأنينة.

4-مدينة الجزائر:

جاء في كتاب الوزان –وصف إفريقيا–:أن الجزائر سميت كذلك لسببين كلاهما ينحوان إلى أصل التسمية، فاسم الجزائر «معناه الجزر سميت بذلك لأنها مجاورة لجزر ميورقة ومنورقة اليابسة لكن الاسبانيين يسمونها أَلْجِي ، والمدينة قديمة من بناء قبيلة إفريقية تدعى مزغنة ،فأطلق عليها القدماء هذا الاسم»[1]، أما التفسير الثاني كما جاء في هامش الكتاب في ذات الصفحة .أن الجزائر سميت باسم جزر صخرية كانت أمام مركز الجــزائر حيث كانت تقيم قبيلة بربــرية تدعى بني مزغنة ،فسمي المكان جزائر بني مزغنة ،ثم تنوسي اسم القبيلة وبقيت الجزائر.

انبهر كلا الرحالتين مما وجدا مدينة الجزائر عليه ،حيث يصفها العبدري قائلا: «وصلنا إلى الجزائر وهي مدينة تستوقف بحسنها ناظر الناظر ،ويقف على جمالها خاطر الخاطر،قد حازت قد حازت مزيتي البر والبحر وفضيلتي السهل و الوعر،لها منظر معجب أنيق،وسور معجز وثيق وأبواب محكمة العقل»[2].

وهذا ما وجد الوزان الجزائر عليه حيث انبهر بها فهي مدينة «كبيرة جدا تضم نحو أربعة آلاف كانون، أسوارها رائعة و متينة جدا، مبنية بالحجر الضخم، فيها دور جميلة وأسواق منسقة كما يجب. لكل حرفة مكانها الخاص ، وفيها كذلك عدد كبير من الفنادق والحمامات ويشاهد من جملة بناءاتها جامع ممتاز في غاية الكبر على شاطئ البحر.»[3] .

و واصل العبدري قوله فيما يخص عدم الاهتمام بالعلم و العلماء في الجزائر ،إنه «لم يبق بها من هو منْ أهل العلم محسوب ،ولا شخص إلى فن من فنون المعارف منسوب ،وقد دخلتها سائلا عن عالم يكشف كربة وأديب يؤنس غربة ،فكأني أسأل عن الأبلق العقوق*»[4]

---

[1] الحسن الوزان،المصدرالسابق ،ص37.

[2] العبدري،المصدر نفسه،ص82.

[3] المصدر نفسه، ص 37.

*العقوق: الحامل من النوق و الأبلق من صفات الذكر.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ص38.

أما الوزان فلم يأت على ذكر مثيل هذا و اكتفى بإبراز الصراعات و التناحرات على الجزائر من الداخل «بين تلمسان و بجاية» و الخارج «بين اسبانيا والأتراك» ،ولهذا السبب لم يكن بالجزائر كانت خاضعة لتلمسان مخافة من عدم قدرته على حمايتهم بايعوا ملك بجاية إلا أنهم لم يستقروا نهائيا فجعلوا لأنفسهم سفنا مسلحة و صاروا قراصنة يغيرون على جزر يابسة و ميروقة ومنورقة و حتى شواطئ اسبانيا فحاصر الملك الكاثوليكي فرديناردالجزائر بأسطول عظيم فخضعوا للاسبانيين و طلبوا «هدنة عشر سنوات مقابل بعض الخراج وعاشوا في السلم بضعة أشهر»[1].

لم يكن في وصف مدينة الجزائر عند كلا الرحالتين كسابقاتها وهذا لأن الأوضاع التي وجدها منذ البداية كانت حسنة حيث نلحظ في وصفهما شدة الانبهار لجمالها من حسن طلتها على البحر وقوة الحصن المحيط بها الذي دافع عليها ضد المستعمرين لأعوام وأعوام.

ولكن ما ساء كل هذا التقدم والرقي هو افتقار المدينة للعلم و العلماء فقد دخلها العبدري أملا في ذلك ليجد بها غير ما طلب فترجم خيبة أمله بقوله «و قد دخلتها سائلا عن عالم يكشف كربة وأديب يؤنس غربة ،فكأني أسأل عن الأبلق العقوق»وهذا يدل على تعبه من كثرة البحث وكأنه يبحث عن أمر في غير مكانه.

إلى هنا نصل إلى خلاصة مفادها أن بلدان العالم العربي هي بلدان يملك أصحابها من الشجاعة والإقدام للبحث عن حياة أحسن ما يغنيهم عن الوقوف طلب المعونة أو البقاء على الحال المزرية ،وبالرغم من أن الفارق الزمني بين الوزان وباقي الرحالة الآخرون ليس طويلا جدا إلا أن بعض البلدان استطاعوا أن يغيروا في نمط عيشهم وحتى طريقة نظرتهم إلى آخرين غيرهم والتأقلم والأخذ والرد فيما بينهم وباقي المجتمعات.

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق،ص 38.

ثالثا:مشاهدات الوزان:

حملت رحلة الوزان على مشاهدات عينية لجل أحوال المجتمعات التي مر بها ،فلقد كان يقف على حقائق ينظر إليها بنظرة المعاين الحادق ،وفيما سيأتي محطات لبعض من مشاهداته في عديد اللقطات المجتمعية .

1-التعاملات:

اختلفت التعاملات بين الأفراد كل حسب متطلبات حياته:أمنية، تجارية، ذاتية... وما إلى ذلك .

فعن **التعاملات التجارية** لأهل مسراتة ،يقول: «أهل مسراتة أغنياء لأنهم لا يؤدون أية إتاوة ويتعاطون التجارة .يأخذون البضائع التي تحملها إلى بلادهم سفن البندقية،ويحملونها إلى نوميديا حيث يستبدلون بها الرقيق وقطع الزباد و المسك الواردة من إثيوبيا و السودان ثم يحملون كل ذلك إلى تركيا ،محققين أرباحا من رحلة الذهاب ورحلة الإياب»[1].

و عن بلدة "أنفا"و علاقاتها الجيدة مع البلدان الأوروبية ،يقول : «و كان سكان أنفا يتأنقون جدا في لباسهم بسبب العلاقات الوثيقة التي تربطهم بالتجار البرتغاليين والإنجليز كما كان من بينهم رجال مثقفون ماهرون ،لكن سببين اثنين عملا على تعاسة السكان ودمارهم .أولهما أنهم أرادوا العيش أحرارا دون أن تتوفر لهم الوسائل اللازمة،والثاني أنهم كانوا يسلحون في مينائهم الصغير زوارق خفيفة يقومون على متنها بالإتلاف و التخريب في شبه جزيرة قادس»[2] .

و يواصل في **وصف سياسات** بعض القبائل فيقول: «و هؤلاء القوم في غاية الكرم مع أن الناس لا يمرون بمضارب خيامهم لجفاف أرضهم، و لأنهم هم أنفسهم لا يترددون على الطرق المطروقة.غير أن القوافي التي تقطع صحاريهم تؤدي حتما إلى أمرائهم إتاوة هي عبارة عن قطعة قماش تساوي دينارا عن حمل جمل «...»، و بعد أن أخد منا

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق،ص111.

[2] المصدر نفسه،ص197

الإتاوة،استدعى جميع من بالقافلة إلى الذهاب معه إلى خيامه، للاستراحة بها يومين أو ثلاثة أيام»[1].

و عن **التعاملات التجارية** في تونس يقول: «تضم بعض أسواق تونس عددا كبيرا من تجار القماش الذين يعتبرون أغنى سكان المدينة كما تضم غيرهم من التجّار والصنّاع كالعطارين و بائعي الأشربة والعقاقير المحلاة بالسكر ،و تجار العطور والحرير،والخياطين والسراجين والفراءين والفاكهانيين و اللبانين و الخبازين...»[2]

لاحظ الحسن الوزان عديد الصراعات و التقلبات السياسية في البلاد العربية سببها الجهل بالحكم والعيش كالحيوانات بسبب التعنت و من ذلك أمثلة عديدة نذكرها:

أهل درعة لها : «عدة رؤساء يتحاربون باستمرار ،ويستعين كل فريق بالأعراب المجاورين الذين يتقاضون مقابل ذلك أجرة كبيرة ،قدرها نصف مثقال لليوم لكل فارس يقاتل لحسابه ،لكن هؤلاء الأعراب تؤدى لهم الأجرة يوما ليوم»[3].

-السودان: « يسكن هذه البلاد كلها قوم يعيشون كالبهائم ،لا ملوك لهم ولا أمراء ولا جمهوريات ولا حكومات ولا عادات ،يكادون لا يعرفون زرع الحبوب ،ويلبسون جلود الغنم،وليس لأحد منهم امرأة خاصة به و إنما يرعون الماشية في النهار أو يخدمون الأرض،ثم يجتمعون في الليل ،عشرة إلى اثني عشر رجلا وامرأة في كوخ ،ويضاجع كل واحد من تعجبه أكثر من غيرها ،مرتاحين نائمين على جلود النعاج»[4]

-الأفارقة القاطنين بصحراء ليبيا : «قوم لا يخضعون لأي قانون ولا شرع ،فإن لهم جميعا أميرا شبه ملك يعظمونه ويخضعون له تمام الخضوع و هم أميون يجهلون كل شيء لا الأدب فحسب ،و لكن أيضا الفنون و جميع المعارف لا يكاد يوجد في قبيلة بأسرها قاض يستطيع أن يفصل في نازلة، بحيث إن من تورط منهم في خصام أو كان ضحية في جريمة

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق، ص60

[2] المصدر نفسه، ص75.

[3] المصدر نفسه، ص120

[4] المصدر نفسه، ص ص159 ، 160

لزمه أن يسافر مسافة خمسة أيام أو ستة على الجمل ليصل إلى خيمة القاضي،وهذا الجهل ناتج عن كون هؤلاء القوم لا يخصصون أي وقت للدراسة ويمتنعون من مغادرة صحاريهم لطلب العلم و لا يأتي القضاة إلى هؤلاء الرعاع إلا مكرهين ،إذ لا يستطيعون تحمل عاداتهم وطريقة عيشتهم ،غير أن من يأتي منهم يتقاضى أجرا حسنا ،فيعطى كل قاض ألفي دينار كل سنة ،أو أكثر أو أقل ،بحسب مقدرة القاضي المسكين»[1].

و الأسوء في كل ما ذكر سالفا أن يكون أعيان الدولة هم السبب في خراب أسرها وفساد أخلاقهم تواطؤ رجال الشرطة مع سيئي الطباع بمدينة فاس: « فيها دور عمومية تمارس فيها البغايا مهنتهن بثمن بخس ،تحت حماية رئيس الشرطة أو حاكم المدينة ،كما يتعاطى بعض الرجال دون أن يثير غيظ البلاط مهنة"البغاء"،فيتخدون في بيوتهم نساء عاهرات وخمورا يبيعونها ،بحيث يستطيع كل واحد أن يتناول من ذلك ما يشاء بكل طمأنينة»[2]

[1]الحسن الوزان،وصف إفريقيا،ص59.

[2]المصدر نفسه،ص247.

2-العمران:

إن الأمر الذي لاحظه الوزان في كل الأقطار التي مر بها هو إهمال بعض البلدان لمساكنهم ولأهمية إنشاء المدارس والدور التربوية وحتى المساجد، في حين وجد عكس ذلك في أماكن أخرى.

في حديثه عن التقدم في مختلف المجالات في مدينة مراكش العظمى ،يقول :»في هذه المدينة مساجد و مدارس وحمامات و فنادق على الشكل الإفريقي ،من هذه المساجد ما بناه ملوك لمتونة ،ومنها من بناه من خلفهم من ملوك الموحدين وفي وسط المدينة جامع في غاية الحسن بناه "علي بن يوسف"أول ملوك مراكش يسمى جامع علي بن يوسف،وقد هدمه "عبد المؤمن من الملوك الذين جاءوا بعد اللمتونيين وأعادوا بناءه لغرض واحد ،هو أن يمحوا اسم علي و يجعل اسمه هو مكانه،فذهب عمله سدى،لأنه لا يجري على ألسنة الناس إلى الآن إلا الاسم القديم"جامع بن يوسف"«[1].

عند فاس وعن اهتمام أهلها بتجميل بيوتهم يقول: «و يصنع الأثرياء لهذه الأبواب مصاريع من الخشب في غاية الحسن و الدقة في النقش و يجملون بيوتهم بخزانات في غاية الظرف مصبوغة على امتداد عرض البيت ،يحفظون بها أثمن الأشياء على أن بعضهم يفضل ألا يزيد علو هذه الخزانات على ستة أشبار حتى يتمكنوا من بسط أفرشتهم فوقها»[2].

و بفاس هي الأخرى وجد اهتمامـــا كبيرا بتعليم القرآن حيث وجد بها : «حوال سبعة مئة جامع و مسجد، و المساجد أماكن صغيرة للصلاة و يوجد من بين هذه الجوامع خمسون كبيرة حسنة البناء،مزدانة بأعمدة من الرخام أو غيره من الحجر الذي لا يرى مثله في إيطاليا وتدعم جميع الأعمدة عوارض مكسورة بالزليخ أو الخشب المنقوش بدقة و سقوف الجوانب مصنوعة على الطريقة الأوروبية،أي من ألواح و الأرض مفروشة بالزليج ومغطاة يحصر

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق، ص127

[2] المصدر نفسه، ص222

في غاية الجمال ،مخيط بعضها إلى بعض بمهارة،بحيث لا يرى شيئا من الزليج و الجدران مغطاة كذلك بحصر لكن بقدر قامت الإنسان فقط»[1].

وعن **التحضر** في بجاية الكبيرة يقول: «مدينة عتيقة بناها الرومان –على ما يراه بعضهم–في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط.تحيط بها أسوار عالية متينة،وتناهز كوانينها ثمانية آلاف «...» ودورها كلها جميلة، و فيها جوامع كافية،ومدارس يكثر فيها الطلبة و أساتذة الفقه و العلوم، بالإضافة إلى زوايا المتصوفة وحمامات،وفنادق ومارستانات، و كلها صروح مشيدة حسنة البناء»[2].

و في تونس أيضا: «جامع كبير في غاية الجمال والسعة كثير المستخدمين عظيم الموارد، وجوامع أخرى في المدينة.و في الأرباض أقل أهمية من الجامع الكبير ،وفيها عدة مدارس للطلبة ،و بعض الزوايا لموردين المتنسكين ،و تكفي أوقاف هذه المؤسسات الدينية للإنفاق عليها لتستمر في القيام بوظائفها بكيفية لائقة»[3].

أما مدينة سجلماسة ف: «كانت مدينة متحضرة جدا ،دورها جميلة ،و سكانها أثرياء بسبب تجارتهم مع بلاد السودان .وكان فيها مساجد جميلة ،و مدارس ذات سقايات عديدة يجلب ماؤها من النهر ،تأخذه ناعورات من واد زيز و تقذف به في قنوات تحمله إلى المدينة»[4].

أما مدينة رشيد ف :»فيها دور جميلة و قصور مشيدة على ضفة النهر وسوق كبير عامر بالصناع والتجار بالإضافة إلى مسجد في غاية الجمال ،حسن المنظر،تفضي بعض أبوابه إلى السوق و بعضها الآخر إلى النهر ،حيث ينزل إليه بدرج عجيبة .ويوجد الميناء

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق، ص223

[2] المصدر نفسه،ص50

[3] المصدر نفسه، ص76

[4] المصدرنفسه، ص127

أمام المسجد.ومن عاداتهم أن تجتمع فيه بعض الجرمات التي تحمل السلع إلى القاهرة إلا أن هذه المدينة غير مسوّرة،وهي أقرب إلى قرية كبيرة منها إلى المدينة»[1].

ومن الآثار التي أبقى عليها الزمن في قسنطينة هو أنك : «تشاهد خارج قسنطينة بنايات عديدة محترمة عتيقة ، وعلى بعد ميل تقريبا يرى قوس نصر شبيه بالذي يوجد في روما ،لكن العامي يظن لحماقته أنه هناك قصر تسكن الشياطين الذين طردهم المسلمون عند مجيئهم إلى هذه البلاد»[2]

[1]الحسن الوزان،المصدر السابق، ص197،198

[2]المصدر نفسه،ص59

3-الأسرة:

الأسرة هي النواة الأساسية للمجتمع يصل المجتمع بصلاحها ويفسد بفسادها،وحسب ما جاء في كتاب الوزان فإن الفساد الخلقي في القرن العاشر هجري كان متفشيا بشكل ملحوظ و هذا الأمر نابع من الجهل حينا و من الحياة البدائية و عدم الاهتمام بالعلم حينا آخر،كما أنه نابع من عدم احترام الأفراد لبعضها البعض خاصة عند كبار العائلة، لكن هذا الأمر لا ينطبق على كل المجتمعات و إنما على إحداها دون الأخرى؛ و من صور هذا التشتت ما يلي:

أدى التفتح الكبير بأهل قسنطينة إلى خروج النساء عن أيدي أزواجهم فخلقت بذلك فوضى كبيرة في المجتمع القسنطيني،حيث: «إن عادات نساء هذه البلاد الفرار إلى جبل آخر إذا لم يرضين بأزواجهن ،وتترك المرأة الهاربة أولادها و ربما تتخذ زوجا آخر في الجبل الذي تقصده ،إذا كان عدوا لجبل زوجها ،و ذلك ما يسبب الخصومات ،لكن غالبا ما يقع الاتفاق إما بأداء مبلغ من المال وإما بمبادلة أخرى ،كأن يزوج "المرأة" الرجل الذي أخذ الهاربة إحدى بناته أو أخواته بزوج المرأة الهاربة»[1].

أما الأسر الأقل خيانة لبعضها فهم الموجودة في صحراء ليبيا حيث يصـف نسائهم وحب رجالهن لهن فيقول: «ممتلئات لحما وشحما، لكنهن غير شديدات البياض، أردافهن غليظة سمينة،و نهودهن بارزة ،بيد أن خصورهن في غاية الرقة يتحدثن بظرف و يمددن أيديهن عن طيب خاطر،و قد يسمحن للرجال بلثمهن ،لكن تعدي ذلك الحد خطير يؤدي إلى اقتتال الرجال بضراوة متناهية ،فهم فـــي ذلك أعقل من بعضنا لا يقبلون الخدعة في أعراضهم بأي ثمن».[2]

أما لرجال إقليم حاحا نساء قانتات حافظات لأنفسهن مما زاد من غيرة رجالهم عليهن فهن: «بارعات في الجمال ،بيض متوسطات البدانة، في غاية الظرف واللطف لكن

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق،ص103.

[2] المصدر نفسه، ص59-60.

الرجال ذوو عنف وغيرة ،يقتلون كل من أفرط في الاقتراب من نسائهم.»[1]
أما أسر منطقة دادس فهم أسوء الأسر على الإطلاق خاصة النساء فهن: «كريهات المنظر كالشياطين لباسهن أسوء من لباس الرجال ،و حالتهن أقبح من حالات الحمير،لأنهن يحملن على ظهورهن الماء الذي يسقينه من العيون والحطب الذي يحتطبنه من الغابة دون أن يسترحن و لو ساعة نهار»[2]

على غرار نساء منطقة آية عياض فهن أكثر اهتماما بأنفسهن إذ يقول: «نساء هذه المدينة لطيفات أكثر منهن جميلات يلبسن لباسا أنيقا و يتزين برشاقة بحـــلي الفضة وخواتم و أساور و غيرها من أنواع الزينة»[3].

[1]الحسن الوزان، المصدر السابق ،101.
[2]المصدر نفسه،ص189
[3]المصدر نفسه،ص185

4-الأخلاق:

تباينت الأخلاق في البلد الواحد و الأصقاع المخلتلفة ،و في هذا الشأن رصد لنا الوزان جيدها و رديئها فنقلها لنا بكل أمانة كالآتي:

وعن حسن أخلاق أهل سوسة يقول: «أهل سوسة مهذبون آدميون،يتقبلون الغريب بحفاوة ،وجلهم بحارون في السفن التجارية الذاهبة إلى الشرق أو إلى تركيا أو في سفن القرصنة التي تواجه مدن سيقيلية المجاورة أو غيرها من المدن الإيطالية ،و سائر السكان من النساجين و البقارين و الفخارين الذين يصنعون أباريق و أواني و قماقم و سائر أنواع أدوات الفخار غير المطلية ،يزودون بها الساحل طله بما في ذلك مدينة تونس»[1].

وعن قساوة أخلاق سكان سكيّم يقول : «سكان هذا الجبل فرع من شعب زناكة خفيفو الحركات أقوياء أكثر في الحرب سلاحهم حراب صغيرة وسيوف مقوسة وخناجر ،ويستخدمون أيضا الحجارة فيقذفونها بحذق كبير وقوة عظيمة ،وهم في حرب دائمة مع أهل تادلة ،بحيث أنّ تجار الناحية لا، يستطيعون قطع الجبل بدون إذن مرور وأداء مبالغ باهظة و الأماكن المسكونـــة فقيـــرة وبعيدة بعضها عن بعض حتى إنك قلما تجد ثلاثة بيوت أو أربعة مجتمعة»[2] .

وعن فداعة أخلاق سكان جبل دادس: «الرجال غدارون متلصصون سفاكون يقتلون الرجل من أجل بصلة ،فتنشب بينهم خصومات عنيفة لأدنى سبب،وليس لهم قاض ولا إمام و لا من له أية كفاية في أي شيء «[3].

أما أهل بونة فيمكن أن يكونوا على قدر كبير من الصحة لولا أن طريقة سخطهم على استبداد الحكام جاءت بطريقة أكثر عنفا حيث إن رجال مدينة بونة : «ظرفاء ،بعضهم تجار وبعضهم صناع و حاكة، يبيعون كمية وافرة من قماش الكتان في نوميديا إلا أن أهل عنابة متكبرون شرسون إلى حد أنهم لا يرضون فحسب بقتل حكامهم ،بل يهددون بتسليم المدينة

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق،ص83.،

[2] المصدر نفسه،186.

[3] المصدر نفسه،ص189.

إلى النصارى إن لم يبعث إليهم الملك حكاما مستقيمين منصفين ،ويضيفون إلى هذه العجرفة سذاجة كبيرة، لأنهم يعظمون أقواما يسيرون في المدينة كالمجانين ،و يعتقدون أنهم من الأولياء الصالحين و يحيطونهم بكل اعتبار و تقدير.»[1].

وعن طيبة التونسيين يقول: «وأهل تونس على قدر كبير من الطيبوبـــة واللياقة.يرتدي الصناع والتجار والفقهاء وجميع من يتقلد وظائف لباساً ممتازا و يضعون على رؤوسهم عمامة «قلنسوة»مكسوة بقماش طويل ،و كذلك العسكريون و أصحاب الحاشية،إلا أنهم لا يضعون قماشا على القلنسوة .وعدد الأغنياء قليل بسبب القمح الذي يساوي ثلاثة مضاعفات للحمل،أي أربع أوقيات «دوكات ايطالية». و ذلك ناتج عن كون السكان لا يستطيعون زرع الأراضي المجاورة لتونس خوفا من تعسف الأعراب»[2] .

أما أهل تمبكتو فلم يجد أطرف منهم و في ذلك يقــول: وقد «فطر أهل تنبكتو على المرح ،و تعودوا على التجول في المدينة بين الساعة العاشرة ليلا والواحدة صباحا ،وهم يعزفون على آلات الطرب و يقصون»[3]

[1]الحسن الوزان،المصدر السابق،ص62.

[2]المصدر نفسه، ص75

[3]المصدر نفسه، ص167

5- الطعام:

اختلفت عادات الطعام من مكان إلى مكان كل حسب عاداتهم و تقاليدهم و أحيانا يكون الاختلاف فقط في الاسم لأن لكل منطقة لهجة خاصة بها، و من العادات الغريبة في الطعام ؛نذكر:

يقول الوزان في عادات مدينة حاحا إنه: «ليس من عادتهم أكل الخبز أو أية وجبة مجهزة إذ يتغذون بحليب نوقهم ،و من عاداتهم أن يشربوا صفحة من الحليب الحاز من السمن ،و عندما ينضج اللحم يتناول كل واحد نصيبه باليد،و بعد أن يأكل قطعته يشرب المرق مستخدما يده كملعقة و تنتهي الوجبة»[1]

وفي طعام ذات مدينة يقول: «هناك طعام خشن يدعى العصيدة ويهيأ بالطريقة الآتية يغلى الماء في قدر ثم يوضع فيها دقيق الشعير ويحرك بقضيب حتى ينضج،تصب هذه العصيدة في طبق مجوف ،و تجعل في وسطه حفرة تملأ بزيت الهرجان و يؤكل دون ملعقة حتى لا يبق منه شيء»[2].

و عن طريقة أكل الطوارق الملثمين فيقول: «ففي كل مرة يتناولون فيها لقمة يكشفون عن فمهم ثم يسترون ،و هم يزعمون انه من العيب بالنسبة للرجل أن يُرى و هو يطرد غذاءه بعد هضمه ،و من العيب أن يُرى و هو يُدخل الغذاء إلى جوفه»[3].

أما المصريين ففضلا عن أنهم فضلاء ظرفاء، و أكثر من ذلك أسخياء. فهم: «يستعملون في غذائهم كثيرا من اللبن والجبن الطري، لكن يستهلكون أيضا كثيرا من اللبن الحامض الذي يخثرونه بوسائلهم الخاصة. ويملحون جبنهم كثيرا فلا يستسيغ الغريب الذي لم يتعود على ذلك ما يستلذونه من طعام.ويضعون اللبن الحامض في كل أنواع الحساء عندهم تقريبا»[4].

---

[1] الحسن الوزان،المصدر السابق ،ص 58

[2] المصدر نفسه،96.

[3] المصدر نفسه،64

[4] المصدر نفسه، ص187

خاتمة:

إن العمل الجبار الذي قام به الرحالة في العصور الماضية جعلنا ندرك بشكل جيد مدى إصرار المفكرين القدامى على إحقاق الحقائق و تأكيد كل شاردة و واردة لإجلاء اللبس عن كل فعل أو قول نُقل إلينا .و الحسن الوزان كان أحد هؤلاء الرحالة الذين أرونا الحقائق كأنا نعيشها أمام أعيننا عن طريق منهجه الذي اتبعه الخالي من الذاتية والعنصرية فكان خير رسول يبلغ حقائق الغير.

الخاتمة

الخاتمة:

إلى هنا أجد نفسي قد ارتميت مكرهة بين أحضان خاتمة العمل الذي تمنيت لو أعطيت له من البحث والدراسة أكثر مما أتيح لي ،فلم تشف المادة التي قدمتها غليلي و لكم رجوت أن يكون لي الوقت الأوفر لأسلـــط الضوء على عدة جوانب في رحلة الوزان ،على كل أرجو أن أكون قد فتحت بابا آخر في مادة الرحلات بدراستي لهذه الشخصية الفذة الفريدة من نوعها لتخلص الدراسة إلى نقاط هامة تمثلت أساسا فيما يأتي:

1. أن أدب الرحلات لا يختص في مجاله بالأدب أو الجغرافيا أو التاريخ، و إنما يُعنى بكل العلوم و الآداب التي تدخل في إطار العلوم الإنسانية و الفلسفات و الاتجاهات الفكرية كون الرحالة علامة و خطاط و دارس لنفسيات الأقوام ومحللها وباحث أنثروبولوجي له قدرة الوصف و التحليل و التعليل و رصد الأحداث التاريخية و الأحوال الاجتماعية.
2. أن الحكايات العجائبية التي تناقلتها الأجيال من زمن لزمن لم تكن من نسج الخيال أو أباطيل و خرافات ،و إنما هي معتقدات تأصلت في أذهان الناس ناتجة عن الجهل بأمور عديدة آمنوا بها حتى صارت جزء من تركيبهم الفكري و النفسي ومن عاداتهم و تقاليدهم.
3. أن الرحالة لم يتنقلوا بين الأمصار هباء بل كانوا عازمين على إدراك حقائق سمعوها ومعايشة أقوام أرادوا نزع اللبس عن حياتهم وتقديمها بصورة أحسن وكذا إدراك مدى تطور مجتمعات وتقهقر أخرى.

4. أما وأن رحالتنا الوزان كان فحلا و نابغة فقد كان سفير سلم منذ نعومة أظافره ،و هذا وجه آخر من أوجه توظيف فعل الارتحال فيما ينشر السلم و يوطد العلاقات الإنسانية بين البشر بمختلف توجهاتهم و اعتقاداتهم و حتى رؤاهم.
5. أن الرحلة لا يمكن أن تكون وسيلة للترفيه أو هروب نفسي من ضغطات داخلية أو خارجية بل هي أنبل من كل هذا لأنه وبفضل الرحالة أدركت بلدان وقارات لم تكتشف إلا بفضلهم كما لم ترسم المسالك و الخرائط إلا على أيديهم ،مثل الإدريسي والوزان وغيرهم ممن شهد لهم العالم العربي و الغربي ككل من الفضل الكبير في ضبط المسافات والمكاييل والأقوام والممالك حتى اللهجات والثقافات والمعتقدات والعلوم المختلفة.
6. و من ناحية الأمانة في نقل الفعل و القول عن حيثيات الأقوام المختلفة فمن عايش الحدث ليس كناقله، فالرحالة بصفة عامة والوزان بصفة خاصة كان خير ناقل لما رأته عيناه ،وهذا بفضل موضوعيته و حياده اللذان اشتهر بهما ،حيث كان لا يذم القوم إلا بما رآه و لا يمدحهم إلا بما وقف عنده.فكان أمينا صارما في كتابة الحقائق و إن كانت جارحة.

وبهذا نكون قد وصلنا بما تيسر لنا دراسته إلى آخر محطة من محطات **"الآخر في رحلة الوزان"** الشخصية العربية الإسلامية ذات الأصول المغربية التي أسالت حبر و لعاب الغرب و العرب .

فإن أصبنا فالسداد من عند الله و إن أخطأنا فمن عند أنفسنا و الله ولي التوفيق.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

-القرآن الكريم؛ برواية حفص عن نافع.

أولا :قائمة المصادر و المراجع:

1-المصادر :

1. ابن بطوطة عبد الله اللواتي،رحلة ابن بطوطة ،دار صاد،بيروت،دت.دط
2. الجاحظ ،البيان والتبيين،حققه فوزي عطوي،مكتبة الطلاب ،بيروت،دت،
3. الجاحظ أبو عثمان،كتاب الحيوان، تر عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت، ج1.
4. ابن جبير،رحلة ابن جبير،دار صادر ،بيروت ،1964.
5. الجرجاني عبد القاهر،أسرار البلاغة، ت:محمد الفاضلي،المكتبة العصرية ،صيدا بيروت،ط2001،3.
6. الحسن بن محمد الوزان ،وصف إفريقيا ،تر:محمد حجي،محمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2 ،ج1983،2.
7. الحسن بن محمد الوزان الفاسي،وصف إفريقيا،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ج1 ط2، 1983
8. أبو حيان التوحيدي، «البصائر والذخائر"، المجلد1، تحقيق د.إبراهيم كيلاني،دار الأطلس، دمشق،دت
9. أبو حيان التوحيدي، «البصائر والذخائر"، المجلد3، تحقيق د.إبراهيم كيلاني،دار الأطلس، دمشق،دت.
10. العبدري أبو عبد الله ،رحلة العبدري،تح:علي إبراهيم كردي،دار الدين سعد عين الكرش،دمشق ،ط2 ،2005.

11. الغرناطي ابو حامد،رحلة تحفة الألباب و نخبة الإعجاب،حررها قاسم وهب،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ضبي ودار الفارس للنشر والتوزيع،عمان،ط1.
12. ابن قتيبة ،عيون الأخبار ،مجلد 3،دار الكتاب العربي،بيروت،دت.دط.
13. القرطاجني أبي الحسن حازم،منهاج البلغاء وسراج الأدباء،دار الغريب الإسلامي ،بيروت،ط2، 1981.
14. مجمع اللغة العربية،المعجم الوجيز مصر ،ط1، 1400هـ 1980م .
15. مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط،جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية،ط4 2004.
16. المسعودي أبو الحسن،مروج الذهب ومعادن الجوهر،تر:محمد محي الدين عبد المجيد،مطبعة السعادة، القاهرة،ط4،ج1،1964.
17. ابن منظور،لسان العرب،تحقيق :عبد الله على الكبير وآخرون،دار المعارف،كورنيش النيل،القاهرة،1119م.
18. ابن النديم ابو الفرج ،الفهرست،دار المعرفة،بيروت،دط،1978
19. وهب مجدي،معجم مصطلحات الأدب(انجليزي،فرنسي،عربي) ،مكتبة لبنان،ط،1.1974م .

2-المراجع:

1. أغناطيوس يوليا نوفيتش كراتشكي كوفسكي،تاريخ الأدب الجغرافي،تع:صلاح الدين عثمان هاشم،الإدارة الثقافية ،جامعة الدول العربية.
2. أميل بديع يعقوب،ميشال عاصي :المعجم المفصل في اللغة والأدب ،دار العلم للملايين،،بيروت،لبنان، ط1، ج1 .1987م.

3. أمين معلوف، ليون الإفريقي، ، تر:عفيف دمشقية،دار الفارابي ،لبنان،بيروت،ط1 ،1990.
4. بلال سالم طحيمر الهروط،صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية والمغربية،نشر وزارة الثقافة،عمان الأردن،2012.
5. بوريس إخنباوم ،نظرية المنهج الشكلي ،تر:إبراهيم الخطيب،الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت،ط1. 1982م
6. تودوروف تزفتان،مدخل إلى الأدب العجائبي-الغريب-المدهش،تر الصديق بوعلام،دار الكلام ،الرباط ،ط1.1993
7. التونجي محمد، المعجم المفصل في الأدب،دار الكتب العلمية،بيروت ،ط1،ج2،1993
8. جودة نصر عاطف،الخيال مفهوماته ووظائفه ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ،1984.
9. الجوزو مصطفى،نظريات الشعر عند العرب(الجاهلية و العصور الإسلامية)-نظريات تأسيسية ومفاهيم ومصطلحات-،دار الطليعة ،بيروت، ط1ج2. 2002.
10. الجوزو مصطفى، نظريات الشعر عند العرب الجاهلية والعصور الإسلامية(2)،دار الطليعة ،بيروت ،ط1،ج2 . 2002.
11. حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، لبنان، ط2، 1983،
12. حسين محمد فهمي ،أدب الرحلات،سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب،الكويت،العدد138،1989م.
13. حسين نصار ،أدب الرحلة،الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان،مكتبة لبنان،ط1، 1991م

14. الخامسة علاوي ،العجائبية في أدب الرحلات ابن فضلان نموذجا، دار السيودي للنشر والتوزيع،الإمارات العربية المتحدة أبو ضبي، ط1,2011م.
15. رمضان أحمد،الرحلة والرحالة المسلمون،دار البيان العربي للنشر والتوزيع ،جدة السعودية،دت.
16. رومية وهب أحمد، شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، العدد207، مارس1997.
17. زكرياء بن محمد القز ويني ،عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات ،منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت،ط 2000،1 م.
18. سعيد يقطين،الكلام والخبز-مقدمة في السرد العربي-،المركز الثقافي العربي،بيروت ،الدار البيضاء،ط1، 1997
19. سعيد يقطين،تحليل الخطاب الروائي،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،بيروت،1997،.
20. السليمان محمد الصالح، الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث،منشورات اتحاد الكتاب العرب،المغرب،دط،2000 .
21. صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دت، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر،1996.
22. عبد السلام المسدي،المصطلح النقدي،مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر ،تونس،1994،
23. عبد الفتاح كيليطو ،الأدب و الغرابة ،دراسات بنيوية في الأدب العربي،دار الطليعة ،بيروت،ط3،1997.
24. عبد الفتاح كيليطو، المقامات،تر عبد الكريم الشرقاوي، دار طوبقال، 1993.

25. عبد الملك مرتاض،في نظرية الرواية يحث في تقنيات السرد ،عالم المعرفة ،الكويت،1988،دت.
26. الغرناطي أبو حامد،تحفة الألباب و نخبة الأعجاب ،تحقيق إسماعيل العربي ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1989.
27. فهيم محمد حسني، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت،1989 .
28. فؤاد قنديل،أدب الرحلة في التراث العربي،مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ،ط2، ،2002.
29. كراتشكو فسكي أغناطيوس،تاريخ الأدب الجغرافي العربي،تح:صلاح الدين عثمان هاشم،الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية،ج1.1957.
30. كليطو عبد الفتاح،الحكاية و التأويل،دراسات في السرد العربي،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء،ط2,1997م.
31. مجموعة من المؤلفين، صورة الآخر: ناظر ومنظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1،1990م
32. محمد فهيم حسين ،أدب الرحلات ،دار المعرفة الكويت،1989.
33. محمد فوزي حمزة،دواوين الشعراء العشرة،مكتبة الاداب،القاهرة،ط1، 2007.
34. محمود العشيري،الاتجاهات الأدبية والنقدية الحديثة (دليل القارئ العام) ،ميريت للنشر،القاهرة، مصر ،ط2،2003،
35. مكي محمد الطاهر،الأدب المقارن-أصوله وتطوره ومناهجه-،دار المعارف، القاهرة، ط1، 1987.
36. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع هجري)، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، ط1.1995م.

37. نور تروب فراي،تشريح النقد ،تر:محي الدين صبحي،الدار العربية للكتاب،تونس–ليبيا،دط،1991.
38. وهب مجدي ،معجم مصطلحات الأدب (انجليزي،فرنسي،عربي)،مكتبة لبنان،1974.

ثانيا:المواقع من شبكة الإنترنيت:

1. حسين فوزي،حديث السندباد القديم،دار المعارف،1943، جريدة الشرق الأوسط،عبد العزيز التويجري،عدد9806،الإثنين1رمضان 1426هـ 3 أكتوبر2005.
2. حسين محمد فهمي،أدب الرحلات،سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،العدد ،1989.138
3. طليمات ،غازي مختار:محمد المر و أدب الرحلات متاح على الشبكة [2004\9\22]WWW . ARABIC STORY COM .
4. عامر فتحي ،قراءة في كتاب(الرحلة في الأدب العربي–التجنيس وآليات الكتابة وخطاب المتخيل – "لصاحبه شعيب حليفي "،متاح على الشبكة،www.el–bayan/com [15_09_2004].
5. عبد الرحيم مؤدن،رحلة أدبية أم أدبية الرحلة؟شبكة ،[مارس2005]. www .fikrwanakad.aljabria bad.com
6. عبد الرحيم مؤذن:رحلة أدبية ام أدبية الرحلة؟متاح على الشبكة [2005\03\21]fikrwanakad–aljabriya bad com
7. ابن عبد العالي نعيمة ،واقع عجيب غريب ،[2004.10/15] ، متاح على الشبكة /www.Arabicstory.net
8. عبد العزيز التويجري ،جريدة الشرق الأوسط، عدد9806 ،الإثنين 1رمضان 1426هـ ، 3أكتوبر2005

9. علي كابوس عبد العلي اليزمي:"كتابة الرحلة ورحلة الكتابة"–قراءة في الطريق السيار ل ح.الحميداني."مجلة علامات"،العدد15,2001 م، متاحة على موقع سعيد بنكراد.

10. منصور أنيس،المجلة العربية،متاح على الشبكةwww.arabia.com.

11. المناعي الطاهر ،العجيب و العجاب –الحد و الوظيفة السردية –مجلة المسار ،عدد مزدوج 34–35،فيفري 1998.

الملحق:

أولا :الملحق المأخوذ من كتب ألفها الوزان ويخط يده.

الملحق الأول:

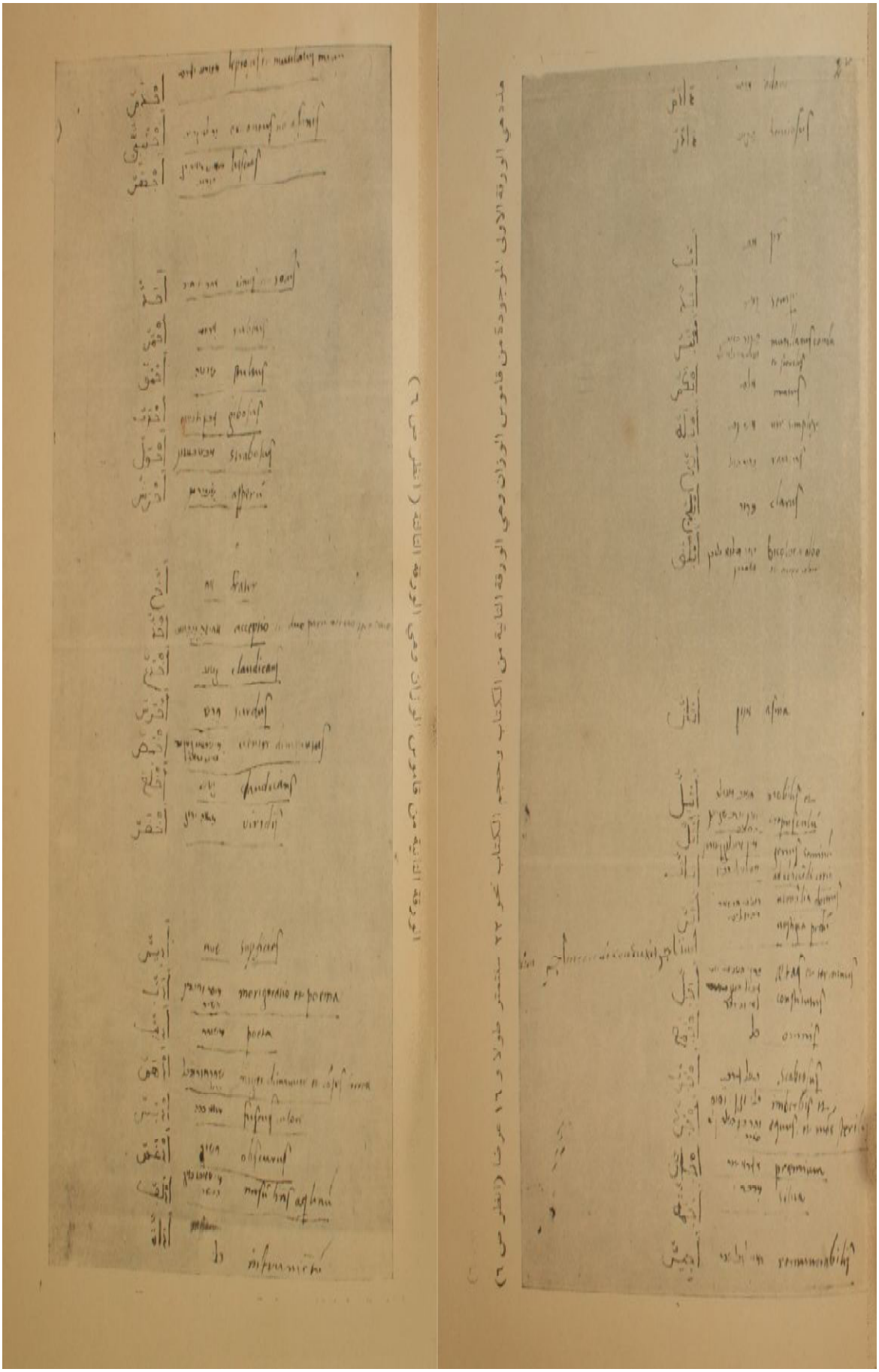

الصورة الأولى الصورة الثانية

1: الصورة الأولى :الموجودة من قاموس الوزان وهي الورقة الثانية من الكتاب نحو 22سنتيمتر طولا و21عرضا.

2:الصورة الثانية:من قاموس الوزان وهي الورقة الثالثة .

الملحق الثاني:

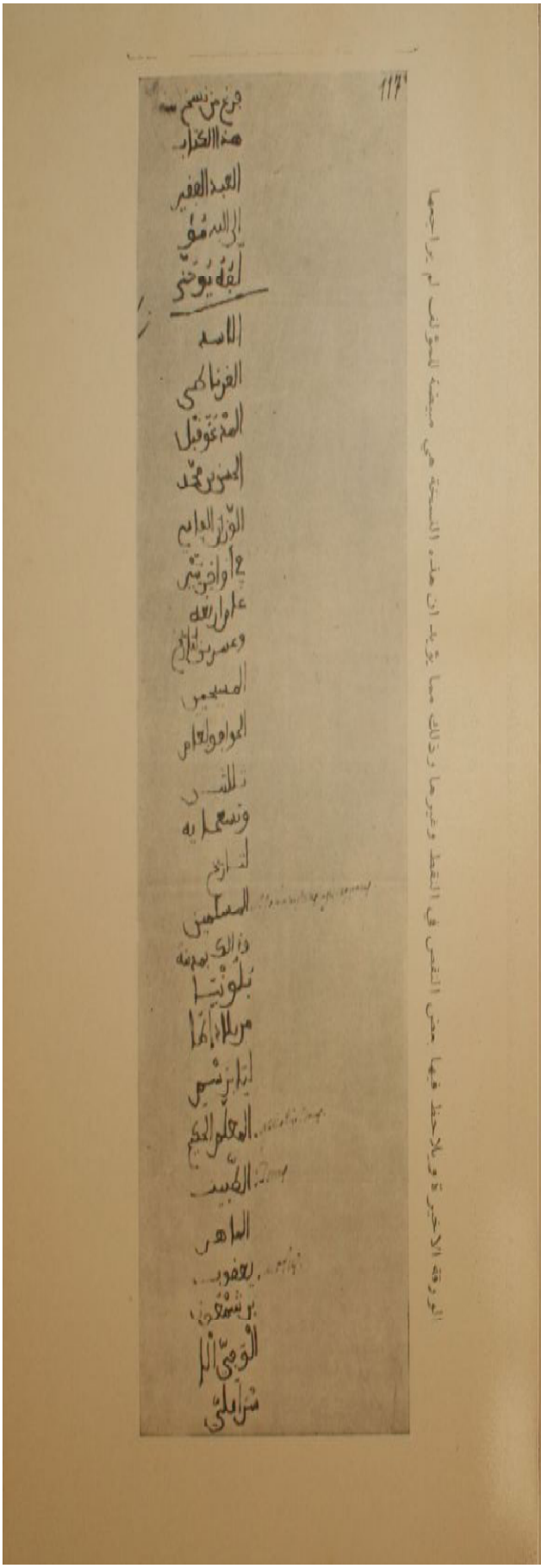

الورقة الأخيرة ويلاحظ فيها بعض النقص في النقط و غيرها وذلك مما يؤيد أن هذه النسخة هي مبيضة للمؤلف لم يراجعها.

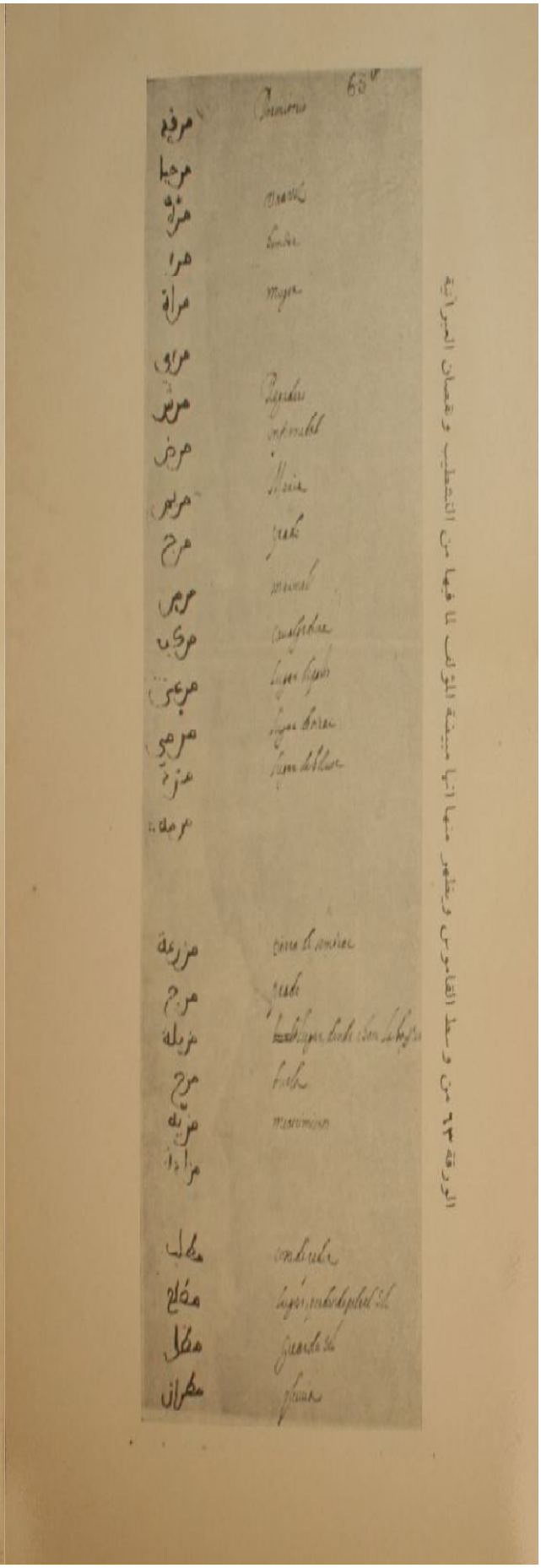

الورقة 63 من وسط القاموس و يظهر منها أنها مبيضة المؤلف لما فيها من التشطيب و نقصان العبرانية.

الصورة الأولى

الصورة الثانية

ثانيا:بعض المؤلفين الذين اهتموا بشخصية الوزان.

Hassan al-Wazzan, dit Léon l'Africain, un passeur de cultures, mais aussi un passeur d'histoire ?

Atelier dans le cadre du cours ***Orient-Occident. Transmission, rencontre, altérité***.

Yverdon, 13-15 mai 2009

Charles Heimberg, Université de Genève

Un roman
1986

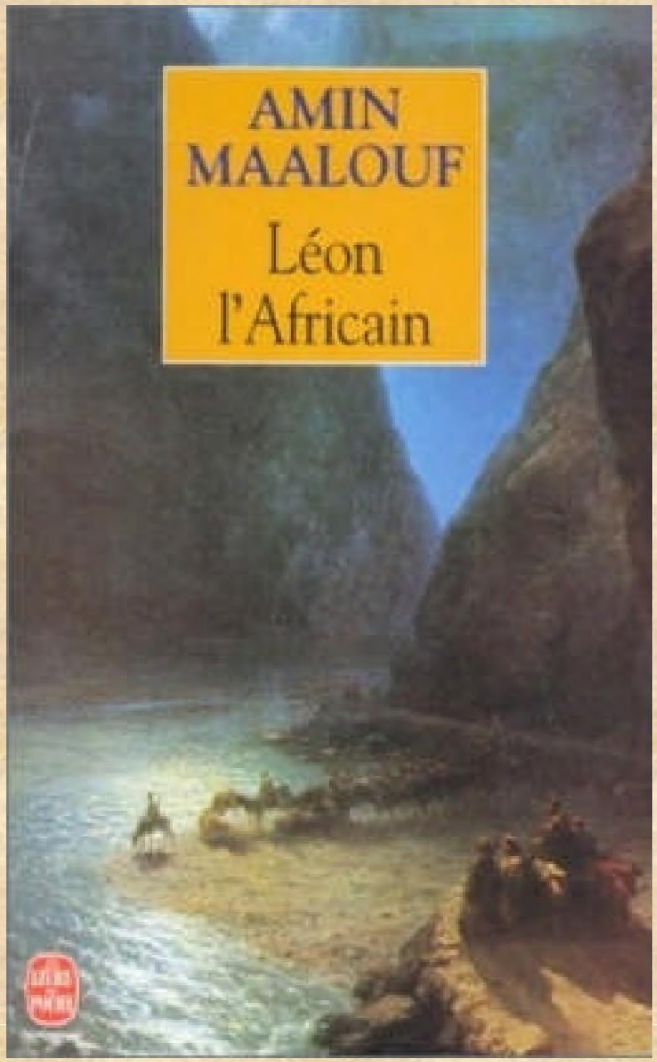

Un essai historique
2007 (2006)

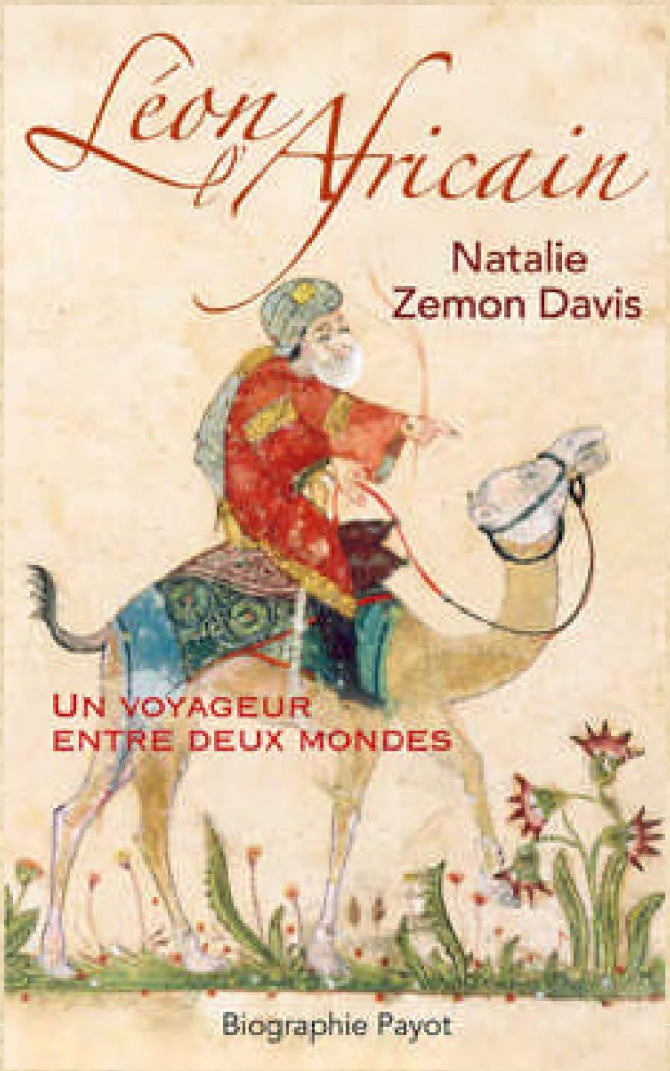

Deux manières de mettre en évidence la construction de la narration historique

Un « jeu » narratif de cinq historiens autour d'un même dossier « banal » acheté aux puces

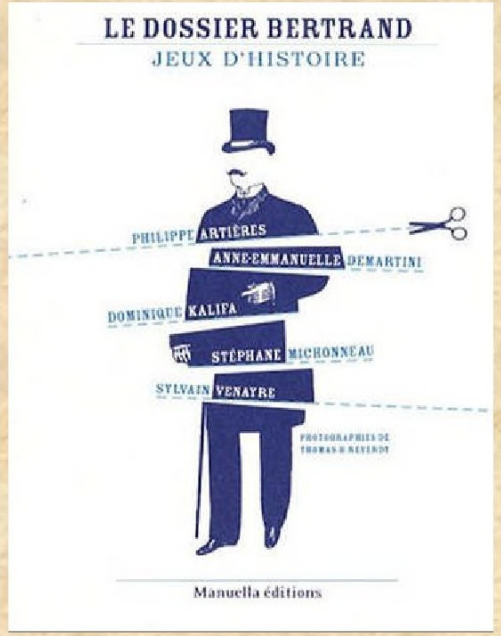

Deux ouvrages parus en 2008

Enfant placé, voleur de métier, Genève, 1840-1896 : un récit écrit à six mains, dont quatre sont fictives

Un exemplarité de masse : un exemple qui vaut pour beaucoup d'autres

« Je m'étais promis de parler uniquement de Christoph et de Walejan Wróbel, mais mes souvenirs ont eu le dessus. C'est ce qui arrive quand une « petite histoire » les résume toutes, et devient grande, immense. »

Nuto Revelli

1986

(1994 en italien)

Une exemplarité singulière

« À travers son exemple, je pouvais explorer la manière dont un homme évolue entre différents régimes politiques, utilise différentes ressources culturelles et sociales, comment il les démêle et les sépare afin de survivre, de découvrir, d'écrire, de nouer des relations et de penser à la société et à lui-même. […]
Comme d'autres personnages dont j'ai pu parles, Hassan al-Wazzân est un cas extrême. La plupart des musulmans d'Afrique du Nord ne furent pas capturés par des pirates chrétiens, et tous ceux qui furent capturés ne furent pas remis au pape. Mais un cas extrême peut souvent révéler un schéma applicable à des expériences et à des écrits plus courants. » [p. 20]

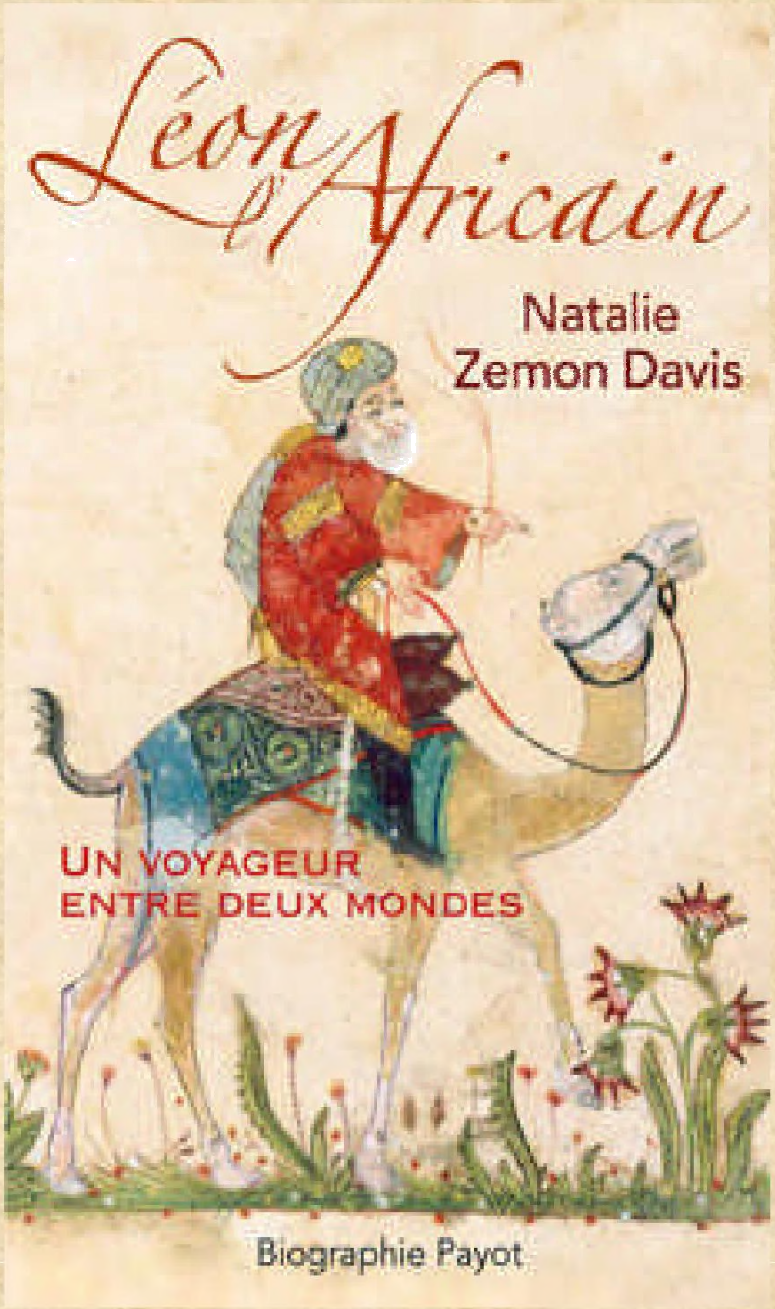

Hassan al-Wazzân est né à Grenade vers 1488. Sa famille a dû se réfugier à Fès au moment de la Reconquête chrétienne. Il y a fait ses études et est rapidement devenu diplomate, aidé par son oncle maternel. Il a aussi été négociant et grand voyageur.

En 1518, il a été enlevé par des pirates, réduit en esclavage et offert au pape Léon X. Il s'est converti et est devenu Jean-Léon de Médicis, dit Léon l'Africain. En exil, il a écrit notamment sa fameuse *Description de l'Afrique*.

Après le sac de Rome de 1527, il s'est enfui et est retourné dans le monde musulman.

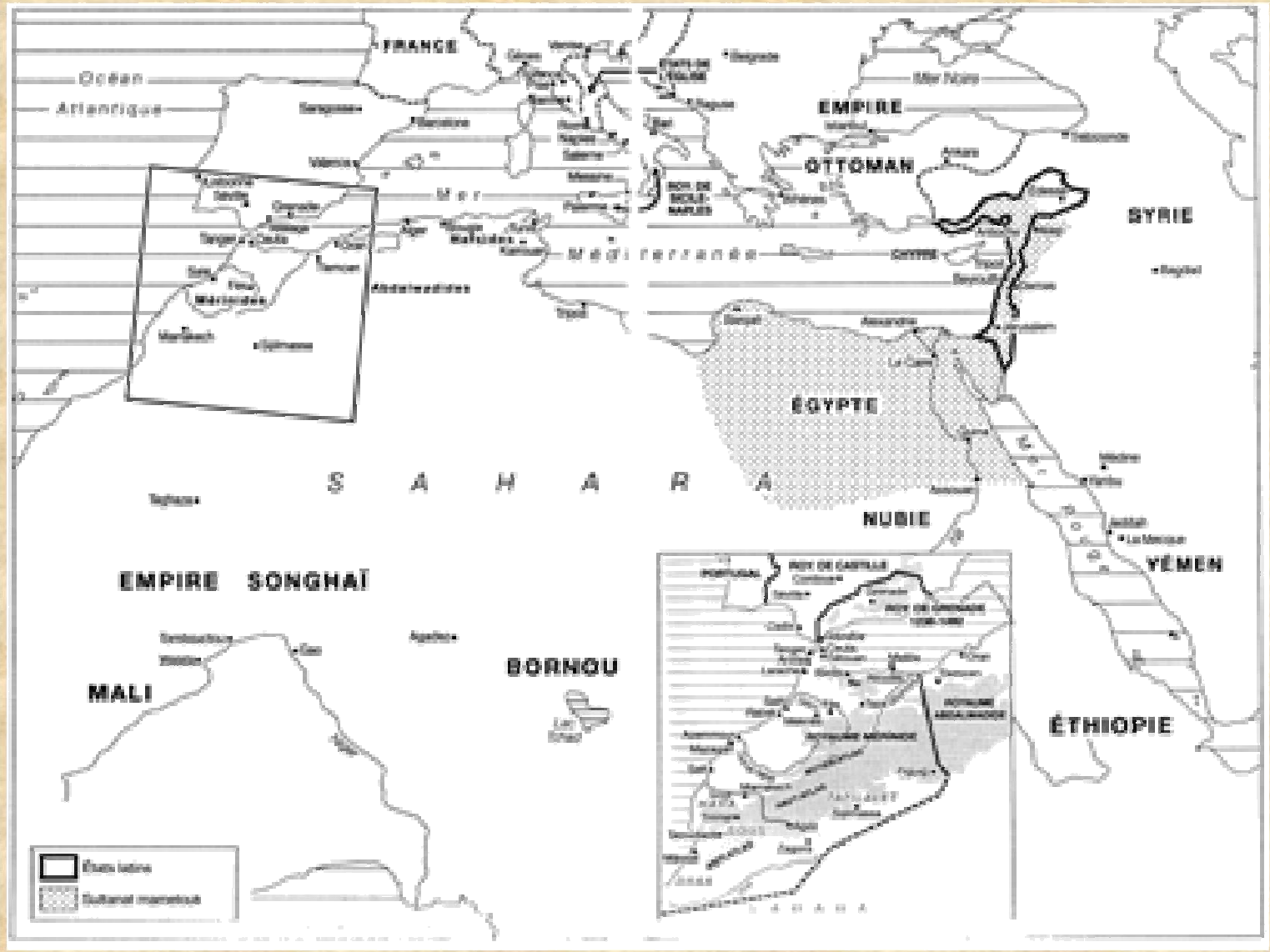

Les périples de Léon l'Africain : Grenade, Fès, Marrakech, Tombouctou, Le Caire, Istanbul, Rome, Tunis…

Un roman

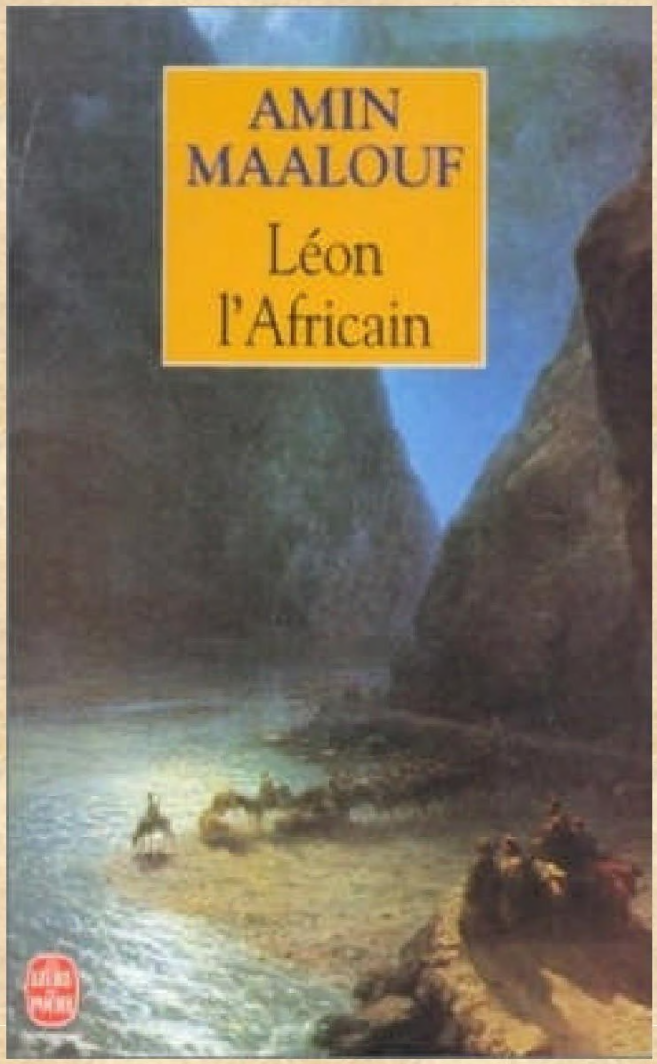

Un récit dont le narrateur est Léon l'Africain, parfois par l'intermédiaire de ce qui lui est raconté

Une narration romancée de la vie privée de Léon l'Africain

Un parti-pris cosmopolite

Une centration sur les années passées dans le monde musulman avant sa captivité

Un point de vue plus oriental

Moi, Hassan fils de Mohamed le peseur, moi, Jean-Léon de Médicis, circoncis de la main d'un barbier et baptisé de la main d'un pape, on me nomme aujourd'hui l'Africain, mais d'Afrique ne suis, ni d'Europe, ni d'Arabie. On m'appelle aussi le Grenadin, le Fassi, le Zayyati, **mais je ne viens d'aucun pays, d'aucune cité, d'aucune tribu. Je suis fils de la route, ma patrie est caravane, et ma vie la plus inattendue des traversées**.
Mes poignets ont connu tour à tour les caresses de la soie et les injures de la laine, l'or des princes et les chaînes des esclaves. Mes doigts ont écarté mille voiles, mes lèvres ont fait rougir mille vierges, mes yeux ont vu agoniser des villes et mourir des empires.
De ma bouche, tu entendras l'arabe, le turc, le castillan, le berbère, l'hébreu, le latin et l'italien vulgaire, car toutes les langues, toutes les prières m'appartiennent. Mais je n'appartiens à aucune. Je ne suis qu'à Dieu et à la terre, et c'est à eux qu'un jour prochain je reviendrai.
Et tu resteras après moi, mon fils. Et tu porteras mon souvenir. Et tu liras mes livres. Et tu reverras alors cette scène : ton père, habillé en Napolitain sur cette galée qui le ramène vers la côte africaine, en train de griffonner, comme un marchand qui dresse son bilan au bout d'un long périple.
Mais n'est-ce pas un peu ce que je fais : qu'ai-je gagné, qu'ai-je perdu, que dire au Créancier suprême ? Il m'a prêté quarante années, que j'ai dispersées au gré des voyages : **ma sagesse a vécu à Rome, ma passion au Caire, mon angoisse à Fès, et à Grenade vit encore mon innocence**. [A.M., page 9]

Tout s'est passé au neuvième jour du mois saint de *ramadane,* ou plutôt devrais-je dire, à la Saint-Jean, au vingt-quatrième jour de juin, puisque la fête du *Mihrajan* ne se célébrait pas selon l'année musulmane mais d'après le calendrier chrétien. Cette journée marque le solstice d'été, qui ponctue le cycle du soleil, et n'a donc pas sa place dans notre année lunaire. **À Grenade, comme d'ailleurs à Fès, on a toujours suivi les deux calendriers en même temps.** Si l'on cultive la terre, si l'on a besoin de savoir à quel moment greffer les pommiers, couper les cannes à sucre ou rameuter des bras pour les vendanges, alors seuls les mois solaires permettent de s'y retrouver ; à l'approche du *Mihrajan* par exemple, on savait qu'il était temps de cueillir les roses tardives, dont certaines femmes s'ornaient alors la poitrine. **En revanche, quand on part en voyage, ce n'est pas du cycle du soleil qu'on s'enquiert mais de celui de la lune** : est-elle pleine ou nouvelle, croissante ou décroissante, car c'est ainsi qu'on peut fixer les étapes d'une caravane. [A.M., page 70]

« Tu vas me demander, poursuivit Khâli, pourquoi j'ai dit à ces gens qui étaient là le contraire de la vérité. Vois-tu, Hassan, tous ces hommes ont encore, accrochée à leurs murs, la clé de leur maison de Grenade. Chaque jour, ils la regardent, et la regardant ils soupirent et prient. Chaque jour reviennent à leur mémoire des joies, des habitudes, une fierté surtout, qu'ils ne retrouveront pas dans l'exil. **Leur seule raison de vivre, c'est de penser que bientôt, grâce au grand sultan ou à la Providence, ils retrouveront leur maison, la couleur de ses pierres, les odeurs de son jardin, l'eau de sa fontaine, intacts, inaltérés, comme dans leurs rêves**. Ils vivent ainsi, ils mourront ainsi, et leurs fils après eux. Peut-être faudra-t-il que quelqu'un ose leur apprendre à regarder la défaite dans les yeux, ose leur expliquer que pour se relever il faut d'abord admettre qu'on est à terre. Peut-être faudra-t-il que quelqu'un leur dise la vérité un jour. Moi-même, je n'en ai pas le courage. » [A.M., page 127]

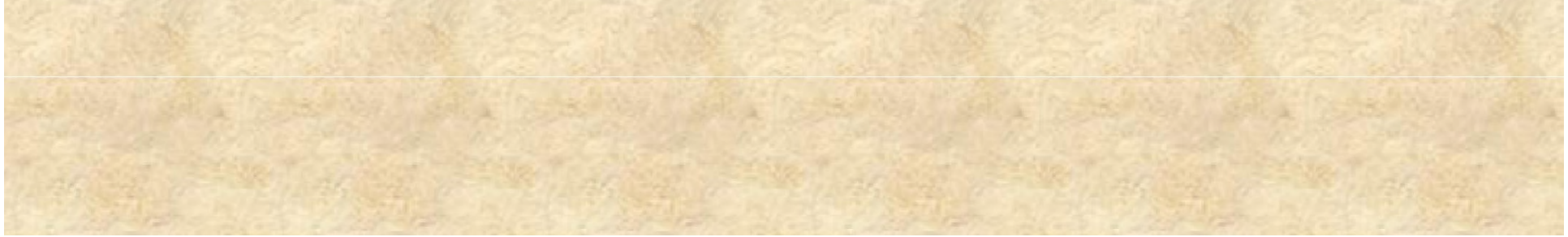

Un essai historique

Une centaine de notes de bas de pages

Un récit au conditionnel

Une centration sur la description des écrits de Léon l'Africain

Un point de vue plus occidental

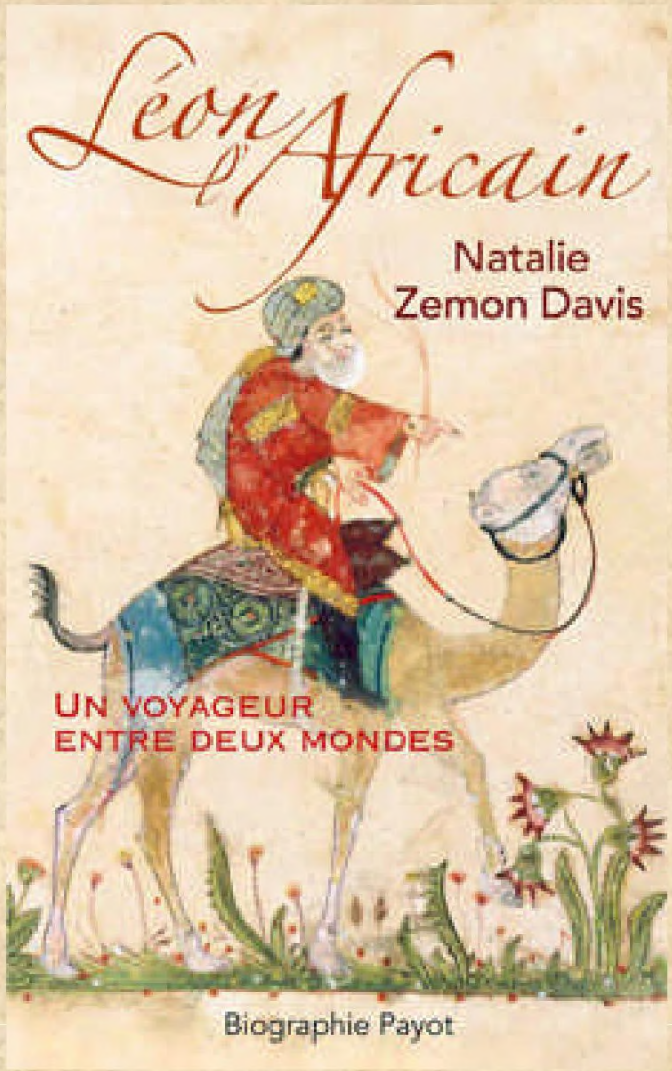

Dans l’essai de Natalie Zemon Davis, ce sont les documents retrouvés au Vatican, et la période que Léon l’Africain a passé dans le monde chrétien, qui prédominent.

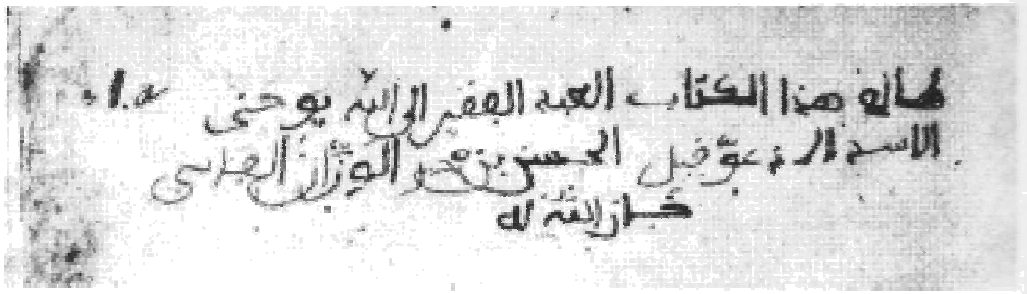

« Le pauvre serviteur de Dieu, Yuhanna al-Assad, anciennement nommé Hassan ibn Mohammed al-Wazzân al-Fasi, a étudié ce livre. Puisse Dieu le combler », signature de Yuhanna al-Assad en 1520, après son baptême, in ms Vat. Ar. 357, © Biblioteca Apostolica Vaticana (Cité du Vatican).

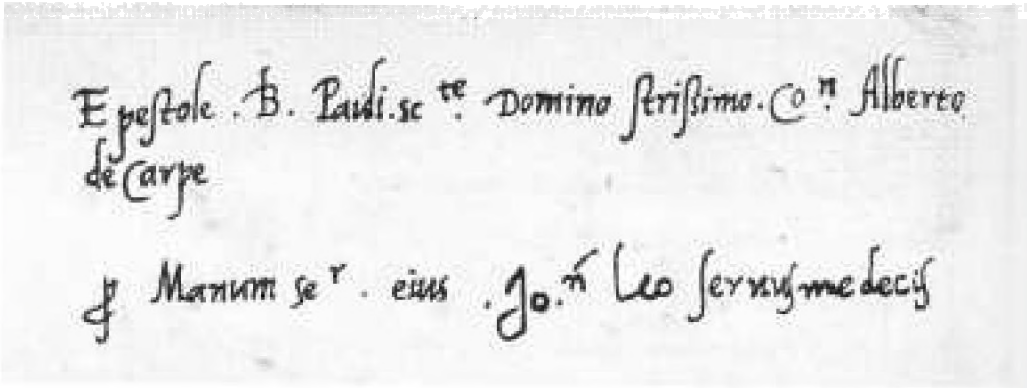

Titre latin de la transcription arabe des *Épîtres* de saint Paul (1521) écrit par Élie Lévita et signature de Yuhanna al-Assad comme transcripteur : « Johannes Leo, serviteur des Médicis », in ms Orientale 16-alfa.J.6.3, fol. 1r., Modène, Biblioteca Estense Universitaria, © Ministero per i Beni e le Attività Culturali.

JEAN-LÉON L'AFRICAIN

DESCRIPTION DE L'AFRIQUE

Nouvelle Édition traduite de l'Italien par

A. ÉPAULARD

★

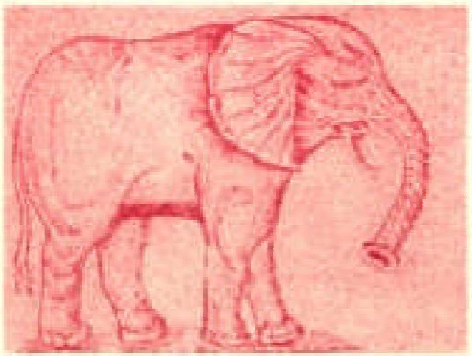

LIBRAIRIE D'AMÉRIQUE ET D'ORIENT
Adrien MAISONNEUVE
J. MAISONNEUVE, succ.
11, rue St-Sulpice
PARIS
1981

JEAN-LÉON L'AFRICAIN

DESCRIPTION DE L'AFRIQUE

Nouvelle Édition traduite de l'Italien par

A. ÉPAULARD

★★

LIBRAIRIE D'AMÉRIQUE ET D'ORIENT
Adrien MAISONNEUVE
J. MAISONNEUVE, succ.
11, rue St-Sulpice
PARIS
1981

C'est l'ouvrage le plus connu de Léon l'Africain. Sa description prend une grande place dans l'essai de Natalie Zemon Davis. Il est presque absent du roman d'Amin Maalouf.

L'orthographe même nous donne des indices. Il existait une grande diversité dans l'orthographe au début du XVIe siècle en Italie, mais les choix orthographiques, dans ce manuscrit. bien qu'inscrits dans le cadre de la pratique, sont moins ceux d'un parler régional que ceux **d'un locuteur habitué à la sonorité arabe des voyelles et pour qui les frontières entre l'italien, l'espagnol et le latin n'étaient pas toujours nettes. Tel était Yuhanna al-Assad. Il préfère par exemple *el Re* à *il Re, el patre* à *il padre, el populo* à *il popolo, el templo* à *il tempio, el thesaureo* à *il thesoriere,* et *la abundantia* à *l'abbondanza.* Dans les oasis, il parle toujours de *dattoli* pour les dattes, un mot utilisé pour ce fruit à Venise, mais aussi plus proche de l'espagnol *dátiles ou du* latin *dactyli* que de l'italien plus courant *datteri.*** Des expressions de structure latine – *dicto* et *prefato,* pour « déjà dit » – surgissent de temps à autre. Tout cela allait être changé, en plus de bien d'autres modifications, par le Vénitien Giovanni Battista Ramusio, quand il publia pour la première fois le livre sous le titre *La Descrittione dell'Africa* à Venise, en 1550 : la syntaxe se fit plus complexe, le vocabulaire plus varié, le style plus fleuri et plus élégant, l'orthographe plus conforme à celle prônée par les réformateurs.
[N.Z.D., page 112]

Quant à sa vie personnelle, nous n'avons aucun indice. Fonda-t-il une famille musulmane et une descendance ? Apprit-il finalement à réaliser une *zâ'iraja* [une forme de divination savante] auprès, disons, d'un élève de ce « très excellent maître » qu'il avait observé à Tunis des années plus tôt ? Reprit-il les voyages qu'il aimait tant ? Retourna-t-il dans le petit village au sud d'Alger - qui était tombé sous régence ottomane -, où il avait été *qâdî* officieux pendant quelques semaines ? Ou bien vécut-il une expérience de conversion, comme celle qu'il avait décrite pour al-Ghazâli dans ses *Vies des hommes illustres,* et se replia-t-il dans un pieux isolement ? **En fait, combien de temps vécut-il ?**
[N.Z.D., page 292]

Comment dire l'exil et l'entre-cultures

« Comme l'autruche : quand
ils disent « Vole !, tu dis :
« Je suis un dromadaire, et
comment, ô Arabe de Tayy,
Un dromadaire pourrait-il
voler ? »
Quand vient le temps
du fardeau, tu dis :
« Non, je suis un oiseau!
Comment un oiseau peut-il
porter un fardeau ? »

Le concept de « double absence « du sociologue Abdelmalek Sayad désigne la coprésence traumatique des illusions de l'émigré, qu'il faut entretenir envers sa communauté d'origine, et des souffrances de l'immigré dans son exil; un processus qui fait qu'il n'est plus intégré nulle part.

Mais laissons le mot de la fin au livre de Natalie Zemon Davis…

« Si seulement François Rabelais était venu en Italie dix ans plus tôt et avait conversé avec Hassan al-Wazzân quand il s'appelait Yuhanna al-Assad […]. Quand il se mit à écrire sur Pantagruel et Panurge, Rabelais aurait pu leur adjoindre un compagnon de voyage musulman. Et al-Wazzân aurait alors pu comprendre quel puissant stratagème pouvait être l'humour. Avant de prendre son envol, l'oiseau rusé aurait pu faire rire les gens des manies des grands. » [N.Z.D., page 310]

الملخص:

تقوم الدراسة أساسا على دراسة الفرد و علاقته بالآخر من خلال رحلة الوزان التي اختزلها في كتابه "وصف إفريقيا".

حيث قُسمت إلى مدخل و ثلاثة فصول تتمحور مادتها حول مفاهيم عن الرحلة وأدبيتها وغرائبيتها، و نبذة عن حياة الوزان و ما يحمله كتابه؛ و المحور الأخير يدور حول ما وجده الوزان في المجتمعات التي زارها من تباينات و اتفاقات بين مشاهداته ومشاهدات العبدري وابن سعيد.وفي الأخير ينتهي العمل بخاتمة تضم أهم النتائج المفرزة من العمل المقدم ككل.

أرجو أن تكون هذه الدراسة قد فتحت بابا آخر حول محور الآخر في رحلة الوزان من كتابه "وصف إفريقيا.

Résumé :

L'étude est basée principalement sur l'étude de l'individu et de sa relation à l'autre à travers le voyage de Hassen Elwezane Qui a été résumé dans son livre "la description de l'afrique".

Où été divisé a une introduction et Trois chapitres, son contenue est centré autour des concepts sur le voyage et sa littérature et sa étrangeté, et a propos de la vie de Elwezane et ce que son livre contient; et le dernier article parle de se que elwezane trouve don les communauté qu'il a visité par les différences et les accords entre ses observations et les observation de Elaabdari et iben Said. En termine se travail par une conclusion avec des importants résultat apportés par le travail présenté dans son ensemble.

J'espère que cette étude a ouvert une autre porte autoure de "l'autre dans le voyage d'Elwezane" de son livre "description de l'afrique" .

الفهرس

الفهرس:

-مقدمة.....أ

-المدخل.....**3**

1-مفهوم الرحلة.....**5**

أ-الرحلة لغة **5**

ب-الرحلة اصطلاحا.....**6**

2-مفهوم أدب الرِّحلات.....**8**

3-أنواع الرحلات.....**14**

أ/الرحلات الحقيقية.....**14**

ب/الرحلات الخيالية.....**16**

4-تصنيفات الرحلات.....**22**

5-الآخر في أدب الرحلات **25**

أولا:مفهوم الآخر عند العرب.....**25**

ثانيا:نماذج من مفاهيم صور الآخر **27**

أ-صورة الآخر عند الجاحظ.....28

ب-صورة الآخر عند ابن قتيبة.....28

جـ-صورة الآخر عند أبي حيان التوحيدي.....29

6-ثنائية الآخر /الرحلة.....31

الفصل الأول: أدبية الرحلة وغرائبيتها.

1-مفهوم الأدبية.....40

أ-الأدبية لغة.....40

ب-الأدبية اصطلاحا.....41

2-أدبية الرحلة.....43

3-مفهوم العجيب و الغريب.....47

أ-مفهوم العجيب 47

ب-مفهوم الغريب 49

4-ثنائية العجيب و الغريب.....52

5-العجائبية في الرحلات.....56

الفصل الثاني: الوزان وكتابه وصف أفريقيا.

أولا :حياة الوزان.....65

1-نبذة عن حياته.....65

أ/اختلافات حول التسمية.....65

ب/ترجمة ليون الأفريقي من مقدمة كتابه(وصف إفريقيا).66

-الحياة الإسلامية 66

-الحياة الأوروبية.....67

ج/وفاته.....69

2-مؤلفات الحسن الوزان.....70

ثانيا:كتاب وصف إفريقيا.....72

1-أقسام الكتاب 73

2-مصادر الكتاب و أسباب وضعه.....79

3-مزايا الكتاب و مآخذه 81

4-مغالطات الترجمة و المترجمين.....84

5-مصادر ترجمة الوزان(كرونولوجيا).....86

6-شخصيات نهل منها الوزان.....89

الفصل الثالث: الوزان و الآخر.

أولا:مسار رحلة الوزان.....97

ثانيا:البلدان و تباياناتها.....101

1-مدينة الفسطاط"باب زويلة".....103

2-مدينة تلمسان.....106

3-مدينة قسنطينة.....109

4-مدينة الجزائر.....112

ثالثا:مشاهدات الوزان.....114

1-التعاملات.....114

2-العمران.....117

3-الأسرة.....120

4-الأخلاق.....122

5-الطعام.....**124**

-الخاتمة.

-قائمة المصادر والمراجع.

-الملحق.

-الملخص.

-الفهرس .